وحيّ الخيال في وصف الجمال
أ/ أحمد عبدالله عبدالله ردمان
دار أحرفنا المنيرة

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين وبهِ نستعينُ، على أمورِ الدُنيا والدين، فهو سبحانه مكرم المرسلين، ومقرب الصالحين، ومُحب المحسنين، قابل توبةَ التائبين، وغافرُ ذنوب المذنبين، وراحمُ المستغفرين، مُجيبُ دعوة الداعين، ومعطي السائلين، وجامع شمل المحبين، والصلاةُ والسلام على طِب القلوب، وخير محبوب، صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه ما أورق عود، وحنت رعود، وأبرمت عقود، وأنجزت وعود، ومن سلك سبيلهم ما أشرقت شمس وما بدر سطع.

أما قبل،

إلى صُنّاع الحروف وكُتّاب السطور وأهل الابداع في الأفكار والتعابير بأبكر المعاني... إلى قُرآء الكتب والدفاتر، من أحسبهم المعنيّون بما تدونه الأقلام والمحابر، وتصدح به الألسنة والحناجر، تحية مباركة تُبهر الألباب، وتزري بالعسل والرضاب، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من مُحِب إلى مُحَب، ومن كاتب إلى قارئ.

أما بعد،

بالحُبِ ينبضُ صوت كل قلبي
فهو فطرةُ من خالقي وربي
ما همني مَنْ لامني بحبي
هو نشوتي وبلسمي وطبي.

تعريف

أنا ذلك الشاب الذي عمره يتجاوز العشرين، وما زال طفلاً عمره في الحب يزيد عن ألفِ عام، وما زال في بداية المشوار يحب الكتابة، وينظم الشعر، وتؤنسه القراءة!
يشكو الفراق، ويهوى العِناق، يعيش وحيداً بين أهله، يُسامر البدر ويتحدث مع النجوم!

يقول عن نفسه:

لواعج الشوق في قلبي وفي كبدي
تبدي بسر الهوى المخفي في خلدي
بعدٌ وهجرٌ وأشواقٌ تؤرقني
ليلي طويلٌ وآهآتي بلا عددي
أُسامر النجم وحدي أشتكي ألمي
قد عيل صبري ولم أقوى على كمدي
إليكَ يا مالكي شكواي مبتهلاً
أنتَ السميعُ فكن يا خالقي مددي
إليكَ وحدُكَ يا رباهُ ملتجئاً
ولا لغيرك يا ربي مددتُ يدي.

ولد من شمس وبدر، وهو ثالث نجمين، يسكن في منطقة ريفية نائية عن المدينة، وترعرع فيها وأحبها، فهو يفضل قريته الصغيرة عن أجمل بُلدانِ العالم، فيقول عنها في مسجوعة أدبية مادحاً قريته الصغيرة:

الحمدُ لله الذي امتَنَّ علينا بالصحة،
وعافانا من البلاء وصرف عنا القرحه،
والصلاة والسلام على من جاء بالكتاب وبين صرحهِ،
والمنقذ من الضلال وسوءِ الفعل وقبحه،
وعلى آله وصحبه ذو الأصفاح والسمحه،
وبعد اسمعوا لتعبيري عن البرحه،
قلدتها من أحرفي في صدرها وشحه،
قف يا زمان قليلاً واقرأ الصفحه،
ماذا يقال وما يروى عن البرحه،
اعرف بلادي وشاهدها ولو لمحه،
واشتم من طيبها العباق لي نفحه،
واقطُف ورود شذاها وانتشي فرحه،
وطف رُباها على مهل وخذ فسحه،
ماذا أقول! وفيما أرسم اللوحه،
وأي قول لأرضي قد يفي مدحه،
عن أرضِها عن رُباها بل وعن سفحه،
عن مجدِها من بنى فوق العُلى صرحه،
هي الظلال لنا من شمسنا دوحه،

فيها خُرابةُ تبدو غاية الملحه،
فيها الحصين أبياً باسطاً جنحه،
نصيحة من أخٍ هل تقبلوا نُصحه!
فقريتي أخذت في حسنها منحه،
أنداؤها عبقت طيباً زكى روحه،
فيها الحدائقُ والجنات مفتوحه،
فيها الهوى نقياً يبعثُ المرحه،
العِلمُ فيها وفيها للعلوم شرحه،
فيها الدواء لِمن لا يلتئم جرحه،
شفاؤك الشمس فيها والدوى ريحه،
إن كنت في سأمٍ أو كنت في سقمٍ
أو كنت في ألمٍ فشفاؤك البرحه،
ما مِثلُها تركيا كَلا ولا الدوحه،
ولا أوروبا ولا الأهرام أو صرحه،
وأندلُسٍ بزينتها فلا تسموا على البرحه،
ففيها السعدُ والراحة،
بعرف المسك نفاحة،
على الأحباب رواحة،
ففيها النفسُ مرتاحة،
عيون الماء نضاحة،
كوادي النيلِ سفاحة،
فَرَوضُ الجنتين بها
وأهل الحي شراحة،

فزيتونٌ وليمونٌ ورمانٌ وتفاحة،
وبين الرافدين رست وناخت فيه سواحة،

على وادي الصنين علت فكانت دجلة الواحة،
وعن وادي المعين سمت فكان فُراتها الباحة،
فأرضُ بلادنا رغد فَنِعمَ الأرضُ والساحة،
فهذا لم يكن حلماً وقولي لم يكن مدحة،
فأرجوا أن يكن حقاً بإسناد مع الصحة!
وختماً تبلغ الهادي وتغشى قرية البرحة.

انطلق إلى التعليم في مدرسته الريفية وتَعلم فيها،
وكان يشكو ضعفاً في بصره منذُ مولدهِ إلا أنه كان مستنير البصيرة
يستعينُ ببعض زملائة وأصدقائه المقربون في قراءة النصوص له،
فأكمل الثانوية وأحب زملائه وأصدقائه فكان يَصعُب عليه الفراق
كما يَصعُب على كل الزملاء!
وفي بداية عامه الأخير مع زُملائه
كَتَبَ مسجوعة أدبية يقول فيها:

الحمدُ لله الذي أسدى إلينا نعماً غداقا، وأولانا مناً دفاقا، سبحانه هو
أهل المجد والثناء وجوباً واستحقاقا، والصلاة والسلام على
المصطفى أزكى البرايا محتداً وأعراقا، وأزهرهم شمائلاً وأخلاقا،
وأسناهم سيرة عمت الدُنا إشراقا، فصلاةُ ربي وسلامه تترا عليه
إجلالاً لعظيم حقهِ ووفاقا،
وعلى آله وصحبه الناصرين لمحجته تنافساً واستباقا، والتابعين
ومن تَبِعَهُم بإحسان اقتداءً واشتياقا!

وبعد...
نُقدم الشكر لمن بذل واهتم بنا حق الاهتمام،
فله الحبُ والاحترام، ثم إليكم تحيتي أيُها الزملاء الهمام،
يا من سَموتم بالفهم والانسجام،
وفقَنا الله وجنبنا الآثام.
وبعد استمعوا لذا الكلام،
واعذروني على التقصير يا كرام، مضى عام وأتى عام، وهكذا تجري الأيام، وأعمالُنا تخطُ بالأقلام، من حلال وحرام،
فَتُرفُع إلى المليك العلام، خالقُ السماوات والأرض في ستةِ أيام،
فَسُبحانك ربنا أنت السلام ومنك السلام، فهو الذي يقضي بالحقِ بين عباده أصدقُ الأحكام، وينتقمُ من الظالمين شر الانتقام، ففريقٌ في الجنة والنعيم، وفريقٌ في السعير والجحيم،

أيامٌ تمضي وسنين تنقضي، ولن يعود ما يمضي، فأفراحٌ وأتراحٌ وآلامٌ وأجراح، وتعبٌ وارتياح، فاحرص على ما ينفع، واعلم أن الوقت لا يرجِع،
جُعتَ أم لم تشبع، فتوكل ولا تجزع، وخذ نصيبك واقنع، وارضى برزقك ولا تطمع، وكن لمن احتاجك تنفع، ها هو ذا عام ولَّى وانقطع، وارتحل بما فيه وودع، وها هو ذا عام سطع، وبنوره فينا أشع،

عامٌ أتى فيه السماح، فيه المحبةُ والصلاح،
فيه السلامُ والصفاح، بعد الفراقِ والجِراح،
تَعلمُنا هو السلاح، لمن اعتدى ومن أباح، أرضي وعرضي

واستباح، عامٌ يزيد شوقنُا، لمواصلة مشوارنا، ولتحقيق حلمنا، في تَعَلُمِنا وعلمنا.
يا فرحتي يا فرحتي، بعام أنار ظلمتي،
نورٌ أتى في وحشتي، فآنسني في وحدتي،
عامٌ علينا قد أطلَ، وبخيره فينا نزل،
بدأناهُ بِلا ملل، ولا انحطاط أو كسل، نُريدُ تحقيق الأمل،
عامٌ تجلى كالقمر، كالبدر في خامسِ عَشر،
فهو خالٍ من كل شر، وخيره لا يحتصر،
هذا هو العام الجديد، لا بد منه نستفيد،
ومن العلم نستزيد، لِأنه عامٌ شديد، فِراقنا فيه أكيد،
كلٌ إلى ما يريد، من قريبٍ أو بعيد،
حتى نكون يا رفاق ، قناديل في الآفاق،
ونتحلى بأرقى صفات الأخلاق، ونجتاز المصاعبَ والمشاق، بكل عزمٍ واشتياق، ونزهوا كما تزهوا على الغصون الأوراق، ولِنهج المصطفى عُشاق، ونصعد للعلى كالبُراق.
لِأن لكل مجتهدٍ نصيب، ولكل مُحبٍ حبيب،
ولكل داعٍ مجيب، فعلينا أن نجد، وفي التعلم نجتهد، وعلى أنفسنا نعتمد، ولِمن أساءَ نحن ضد.

عام تصدر بالصعود، وبعطره والورود،
وبعزمنا والجهود، نجتاز كل القيود،
يا ربنا يا ودود، حقق لنا كل الوعود،
وحُفنا بالصبرِ والصمود.
سنة جديدة، أيامها عديدة،
وفِتنها وئيدة، وخيراتها وفيدة،
هذا هو عام الوداع، ولم يصل إلا الشجاع، وبعزمهِ وجهدهِ استطاع،

ولِمُعلمه أصغَ السماع، ولربهِ لبَّى وطاع، في كل وقت وساع،
بلا مللٍ ولا انقطاع.
ومن الفؤاد تحيتي، تغشاكم يا إخوتي،
يا من سكنتم مُهجتي، بكم استنرتُ بصيرتي،
وكُل حبي والإكبار، لتاجِ العِز والمقدار،
لمعلمنا المغوار، سكابهْ كالأمطار،
بعرف العطر والأزهار، ولمعلمينا الأخيار،
تحفهم مدى الأدهار،
وخاتمتي مسك الختام،
على النبي أزكى سلام،
وعلى آله وصحبه دايم مدام.

كان يحترمهُ ويقدره كل المعلمين،
وكان يحبهم ويكنّ لهم الحب والاجلال،
يقول في مسجوعة صغيرة له عن المعلم المتقن في التعليم والمجتهد في تنمية طلابه:
الحمد لله الذي علمَ الانسان ما لم يعلم، وميزهُ بالعقل وفي الخلق أحكم، والصلاة والسلام على من جائنا بخير كتاب مُحكم، فبشَر به وهدى وعلم، وعلى آله وأصحابه الذين بينوا كل غامضٍ ومُبهم،
أما بعد،
فهذا التعبير لمن تعَلم وعَلم، وكان خير مُعلم لطلابه وفَهم، فكل الحب والتقدير، من كل طالبٍ للعلم جدير، ولكل معلم قدير، كان في شرحه لطلابه مثير، وفي تقديم الأساليب خبير، فهوَ في نظر كل طالب كبير، وعليه يُبدع الطالب في النظم والتعبير، ذاك المعلم ليس له نظير، في سياق القول وحسن التخيير، فلهُ الحُب والاحترام وله في كل قلبٍ منزلة ومقام، فما أبلغ القول منه وما أحسن الكلام، فهو ذاك الذي قد غدا للناس مرشداً وإمام، فله من كل قلبٍ ألف تحيةٍ و سلام، فهو الدواء وهو الطبيب، وهو العارف واللبيب، وهو في كل قول مصيب، لا يُخطئ في القول ولا يعيب، فذاك هو المعلم والأديب، الذي تحبه القلوب وهو الحبيب، وهو مِنا في كل وقت قريب، فقلّ أن يوجد مثله أستاذ رحيب، فهو المعلم الرهيب!
وفي الأخير، هذا شيء يسير، عن المعلم المنير، في كل مدرسة أمير، ولكل أستاذ مدير، ولكل طالب موجه ومُشير، فله الحب والتقدير، والصلاة والسلام، على خير الأنام.
ناهيك عن القصائد الشعرية التي كتبها في معلميه. نعم هو أنا ذلك الشاب الذي أكملت دراستي الثانوية ثم التحقت لأكمل التعليم في الجامعة تؤمني همتي، ويرافقني شغفي للتعلم، وتتبعني أشواقي وعزيمتي، فتَتلمذتُ على يديّ علماء ودكاترة اشتهروا بعلمهم،

وسطعوا بنورهم،
وما زلت أتعلم على أيديهم في قسم اللغة العربية. ذلك التخصص الذي أحببته وفضلته،
فعانيت في جامعتي ما عانيته في مدرستي، من مشكلة القرآءة وكتابة الامتحان.
فَصبرتُ وعانيت وكانت تضيع بعض أفكاري وأجوبتي لأنني لا أجد من يدونها لي كما أُريد،
فمضى عام من الدراسة وأنا كذلك،
حتى أشرقت عليّ أستاذةٌ بنورها الساطع، هنه
فكانت لي كما أُريد، تتحلى بالصبرِ والعزيمة وعَاملتني كأحد أبنائها،
فكتبتُ لها مقالة أدبية عنوانها:
نجمة في الظلمة.

نجمة في الظلمة

الحمد للهِ العزيز الغفار، والصلاةُ والسلام على النبي المختار، وأزواجهِ الأطهار، وأصحابهِ الأخيار، وبعد.. (إلى نجمةٍ أنارت ظلمتي)

تزاحمت الأفكار وتسابقت الكلمات
واختصمت الألفاظ بمعانيها...
فكلها تريدُ أن تزداد شرفاً ورفعةً وفخراً إذا تلألأتْ بذكراكِ،
فما استطعتُ كتابةَ قصيدةٍ عنكِ؛ لأن كلماتي وألفاظي تستحي وتعود خجلاً من مقامكِ الرفيع، ومكانتكِ العُليا!
فأحببتُ كتابة مقالةٍ عنكِ لعلها تعبرُ عما أُكنهُ لكِ في مهجتي من الوفاء والعرفان...
وقبل أن أكتب، أرجو العذر منكِ يا معلمتي لأن العرب لم يضعوا حبراً من ماءِ الذهب لِأكتب عنكِ حروفاً من جمانٍ تتلألأ ولِأُنظمَ لكِ منهُ عقوداً وقلائداً.
وليس هناكَ أوراقٌ وصفحاتٌ من وردٍ أو زعفرانٍ كي أُهديكِ إياها ولكن سأطوفُ محلقاً في بساتين الألفاظ وحدائقِ المعاني سابحاً في بحرها الزاخر، منتقياً أروعُها وأجملها وأزكاها،
ثم أُزاوجُ بين الألفاظ والمعاني لعلها تَنْجِبُ عباراتٍ راقية وكلماتٍ حسناءُ جميلة، لعلها تأتي بشيءٍ يسير من صفاتِكِ النبيلة...
واعذريني إن كبَت أحرُفي أو تعثرت كلماتي.
معلمتي سأذكرُ لمحةً قصيرةً عن بداياتي قبل أن أرى نورَكِ الساطع...
يا شمسَ فجري، وضياءَ فكري، ومصباح دربي!

بدأتُ خوضَ مشواري وحيداً في ظُلمةِ اليأس
وأحاليك العناء،
أسيرُ وحيداً ليس لي بعد اللهِ إلا عزمي وهمتي وقوة إرادتي، متناسياً أنني كفيفٌ أو بمعنى آخر (ضعيف البصر) ليس كسائِر زملائي وأصحابي.
لطالما تعثرتُ في طريقي مِراراً، وربما اصطدمتُ بشيء لم أكن أعلمه، وكثيراً ما أُصادف أُناساً كنتُ أظنهم أحبابي وأصحابي لكنهم وقفوا أمامي كأحجارٍ تُعَثرني، محاولين صدي لكنني مزجتُ مَرارتِ صدهم بحلاوة عزمي!
فلم أُبالي بما فعلوا،
أذهبُ إلى جامعتي حباً لتخصصي الذي افتخرتُ به وإن كان كسلعةٍ لم تجد ثمنها في هذا الوقت،
لكن بحثاً عن المعلومة ليس عن الشهادة!
أحضرُ بين يدي علماء أنارُوا أعلاماً تتلْمذُ على أيديهم، فهم كسحابٍ تمطر بمعلوماتِها على قلبي، كشجرة طيبة تسقى بغيث أفكارهم، فَتنْمو حتى تأتي أُكلها بعدما أثمرت وأينعت.
والمعروف أنهُ في كل نصف عام نخضع للاختبار، كالأغصان المثمرة التي حان قطافها ليس لبيعها، بل لنأتي بثمار أُخرى وإنما ليس لعرضها فقط، حتى تتهيأ لاستقبال معلومات أُخرى وجواهرٍ ليس لها ثمن!
أما أنا فكما تحدثت آنفا أني بصير أي لا أستطيع الكتابة وأحتاج إلى كاتباً صبوراً رحيب القلب طيب السجايا، يستطيعُ تدوينَ ما في أفكاري، ففي الترم الأول كنتُ أحياناً لا أجد كاتباً إلا قليل الصبر أو عَجِلاً أو متضجراً، لا يسمحُ لي أن أكتبَ ما أهواهُ! وكلما أجدُ كاتباً يسردُ أفكاري كنتُ أخرج من بيتي قلقاً كالطير الحزين الذي يخرج من عشهِ مبكراً مكسور الجناح، معثراً يزغردُ على الأشجار

إلى اليابسة، في الأراضي القاحلة المجدبة، لا يعلمُ أين سيجدُ رزقه فتارةً يعودُ خميصَ بطنٍ، وتارة يعودُ بشيءٍ يسير!
فأنا كذلك حينما لا أجدُ كاتباً تطمئنُ إليهِ نفسي! أجدُ أفكاري تخرجُ تائِهةً كعاشقٍ ضلت معشوقته، أو حبيبةً ضلَ حبيبها في صحراء لا حدودَ لها، أو كيتيم ليس له من يعوله.
وبينما أنا أتخبطُ في هذه الظلمات آملاً من اللهِ عز وجل أن يبعث لي نوراً أستضيءُ به، أصرّيت على مسيري بعزمٍ وصبرٍ وقوةٍ راسية كالجبال الثابتة، صابراً على ما يصيبُني من الحزن أحياناً، لكنني كنت مكتفياً بما اكتسبته من العلم الثمين راضياً بما قدره اللهُ لي.
بينما أنا كذلك إذ سطعت على أُفقي وفي سمائي نجمة متلألأة أضائت ظلمة دربي بنور طيبها وحنانِها ورقتها، ورحمتها ورفقِها وصفاء قلبِها، وحسن أخلاقِها وجميلُ صفاتِها، وكريمُ أطباعِها وجلالةُ قدرِها!

إنها أنتِ يا معلمتي وقِدوتي، إنها صبورة رحيبة خالية من العجل والملل وضيق الصدر والضجر!متحلية بِكلِ خُلقٍ نبيل، صادقةٌ أمينةٌ مهذبةٌ عفيفةٌ، وفيةٌ عزيزةٌ أبية، فاخترتها لي كاتبة فارتاحت نفسي واطمئنّ قلبي وتولت أحزاني وأشجاني
ونَمتْ أفكاري، فدُونت واكتملت دفاترَ اختباري، لماذا؟ لأنها أتاحت ليَ الفرصة أن أُلقيَ إلى أقلامِها كلَ معلوماتي مسطِرة لها بكل حب وشغف وإعجاب! بَذلتْ وقتها لأجل تلميذٍ حائِرٍ بصير ليس لأجل شيءٍ في الدنيا؛ وإنما محتسبة ما تفعله الأجرَ من الله والثوابَ الجزيل!
أما أنا فقد اطمئنيت فكنتُ أُذاكرُ بارتياحٍ وشوقٍ وعزيمة متوكلاً على الحيُّ القيوم، واثقاً من نفسي متأكداً من توثيق أفكاري، أستاذتي الكريمة واللهِ لو كنت تعلمينَ ما أشعرُ به من فرح حينما أصلُ

فأشاهدكِ أمامي!
نعم أحياناً لا أراكِ ولكن عندما أقف في الباب أسمع كلماتاً تُسعدُ قلبي بقولكِ: أهلاً! أو تفضل أحمد. عندها أتأكد أن أجوبتي ستكتبُ كاملة فأستحضر معلوماتي.

فأي شكرٍ يجزيها وأي جزاء يساويها، وأي نُظماً يعطيها حقها؟!
أستاذتي إنكِ عندما تأتي بدفتر الاجابة ثم تخْرجي الألوان والمسطرة والأقلام، ثم تبدأين بتسطير وتزيين وتنميق الأوراق قبلَ أن تأتي ورقة الأسئلة، في ذلك الوقت يخيل في خاطري أنه مكان توضع الأرائك والرفائف المغطاة بالحرير والعسجد، المفروشة بالورد ونسائم الرياحين، لمن؟ لعرائس تزف لعناق أحبابٍ بعدَ فراقٍ طويل!

أما عندما تكتبين السؤال يخيل لي كأنه محباً قد تكللَ بعقودٍ من الفل والورد على تلكَ الأرائك زاهياً بأفخرِ الحلل الجميلة، ناظراً لزفاف محبوبته إليه! عند ذلك تقوم أفكاري بتهذيب كلَ كلمة أُريدُ كتابتها وكأنها عروس لبست أحسن الفساتين، وتُوجت بتاج نُجّدَ بزُبُرجدٍ وزّمردٍ وفاخرِ الألماس، وطُوقَ جيدُها بِخالص عقود الذهب والجواهر والدُرر على صدرِها! فكل كلمة أراها تخرج من أجمل الحوريات كعروس تزفُّ إلى حبيبها.

معلمتي هكذا تمتعتُ بِكل جوابٍ لكل سؤال، وحصلتُ على أعلى الدرجات وأرقى النتائج من أولِ لحظة أخذتِ القلمَ للكتابة!
أستاذتي، ليس لي شيء أجازيكِ إلا أنني أعطيكِ عهداً بأنني سأظل أذكرُكِ وأدعو الله سائلاً لكِ تحقيق الأماني إلى آخر لحظة عشتُ فيها.

أذكرُ أنَ أحد المعلمين ذات مرة نظرَ إلي وأنا أُملي عليكِ ما تكتبيه ونطقَ قائلاً لي: عليك ذكرُها ما دمتَ حيا!
فهذا وعدٌ أني لن أنسى فضلكِ عليَ!
يا معلمتي، إن كانَ للعلم شعوراً فأنتِ كل شعوره وإحساسه...
يا معلمتي، إني لا أراكِ إلا نبراساً تعلو سحابةَ العلم نوراً وسنأءَ عزًا وفخرًا، معلمتي إني لا أراكِ إلا قِدوة لي وأسوة و محرابًا للعلم على منبره متربعة، معلمتي، أخبرني أحد الدكاترة يوماً فقال لي: كاتبتُكَ تحترمك وتقدركَ كثيراً.
معلمتي، فأنا أُخبركِ أن احترامي لكِ فوقَ كلَ احترام، وقدركِ قد علا كل قدر على مر الأزمان. وأخيراً..

معلمتي، ما قلت عنكِ إلا قليل، وما أظهرت مما أُكِنّه من الاخلاص والوفاء والعرفان إلا كما يأخذُ المخيط من البحر؛ لأنني لم أجد كلمات وألفاظ تجسدُ ما في قلبي! ولا أملك شيئاً إلا أن أظل أسأل الله عز وجل أن يسبلَ عليكِ نعمه وخيره، وأن يدخلكِ في عباده الصالحين، وفي الآخرة في الفردوسِ الأعلى مع الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وسلامُ الله عليكِ من قلبي ومحبتي وتقديري،
ولا يحضرني في مقامكِ أي مقال
إلا الدعاء لكِ.
وأسأل من الله لكِ خير الجزاء.
يا نجمة شعت بكل إخاءِ
فانزاحت الظلماء من أرجائي

ماذا أقول و أي لفظٍ قد يفي
مدحاً لبدرٍ قد علا بسماءِ
أدباً وأخلاقاً وكل مكارم
قد جسدته منيرة بوفاءِ
فعليكِ من قلبي السلام محبة
وتحية مزجت بكل ولائي
صلى عليك الله ما غيث هما
وترنم القمريُّ في الأنداءِ

الحب

ننتقل الآن إلى الحديث عن الحب وعن مشاعر الحبيبة،
إذا تحدثنا عن الحب وعن العشق فهذا لا يعني أن حُب أيُ مُحِب أو حبيبة يفوق حب رسول الله ﷺ
فعرش حبه عليه الصلاة والسلام يعلوا كل عرش.
فهو قدوتنا في الحُب وإذا سألنا ما الحُب؟
نجيب: إن كان للحب عرشاً فرسول الله ﷺ هو من يتربع هذا العرش.
وإذا قيل أهذا هو الحب عندكم؟
نقول: لا ليس هذا فحسب، فالحب عندنا هو قول أبو بكر (شَرِب رسول الله حتى ارويت أنا!)
ونذكر اجابة أخرى فنقول: أما الوفاء في الحب لقد فرش رسول الله ﷺ ردائه لإحدى صويحبات خديجة بعد وفاتها!
الحب شيء جميل!
وكل قلب ينبض فصوت ذلك النبض هو الحب!
وكل محب له حبيبة يهوى لقاها، ويشتاق عناقها، ويصبوا إليها، ويبحثُ عنها في كل مكان حتى يصل إليها،
مضى زمن من الدهر ونحن في فرقة وقهر، وبُعد وهجر، اشتد اليأس وعيل الصبر، فجبت البدو والحضر، وسألت الورد والزهر، وخاطبت السهل والصخر، وغُصت في أعماق البحر، وسامرت النجم والبدر، وتحاورت مع السحابة والقطر، وناديت باسمها في السِرّ والجهر، فلم أجد لها أثراً أو ثأر، وبعد سنين عشر، وأنا أسطر الشعر والنثر،

وجدت زهرة حياتي، فكأنما أحيتني بعد مماتي، ولملمتني بعد شتاتي، فسقتني منها عذب فراتي، فاخضرَّ هشيم نباتي، وتماسكتُ بعد تكسري وفتاتي، وصحوت من نومي وسباتي، حتى عادت كما كانت جل صفاتي، وانصرفت عني عثراتي، وتوارت مني نكساتي، وغرقتْ في سُعدي أناتي، واجتمعت لي فرحاتي، فقلت لها أهلاً يا حبي، لك قد فُرش الورد بقلبي، أهواكِ دوماً في قربي، لأنكِ بلسم قلبي المسبي،

حياتي من دونكِ في كربي، وفراقكِ أعيا قلب الصَّبِّ، أنتِ حياتي أنتِ دوائي أنتِ طبي، يحلو زادي في قربكِ يحلو شربي، أنتِ كلماتي والمعنى أنتِ أدبي، أنتِ مدادي أنتِ حروفي أنتِ كُتبي، أنتِ حزني أنتِ ألمي أنتِ غلبي، أنتِ سعدي أنتِ أنسي أنتِ طربي، أنتِ في الدنيا كل شؤوني أنتِ دربي، لا تحرمني من لقية خلي يا ربي!

قالت لي حسبك والله حسيبي، ما فارقتك إلا رغماً واشتد إليك نحيبي، وعشقتك حقاً ووهبتك روحي وقليبي، ما لي غيرك في الدنيا أنت حبيبي، بلقاك توالت أفراحي، وتولَّت عني أتراحي، يا سُعدَ مسائي وصباحي، يا نور القلب ومصباحي، أنت الطب لدائي وجراحي، يفديك فؤادي وحياتي يا صاحي، ما لي غيرك معشوق بجناحي، لم يمنع ذكرك في قلبي شراحي، ينبض باسمك خَفَّاقاً في كل غداةٍ ورواحي، حتى ألقاك غداً فأضمك بين وشاحي، وأهيم بوصلك يا حبي وتهيم بقربي وصفاحي، لم يذهب صبري فيك هباء حاشاه وفيك يضيع كفاحي، أعطيتك حبي وفؤادي وإليك أسلم مفتاحي.

يا حبيبتي، أنتِ كل حياتي،
يا من لا أُسميكِ إلى الآن!
إنها نِداء أشواقي وأحاسيسه، ورنى روحي ونشوته، ونَدى قلبي وطله، وذكرى فؤادي وتذكاره، ومنى لُبّي وآماله، وريم صدري وجنانه، وجوهرةُ فكري وألماسه، وصدق عاطفتي ووفائه، في مهجتي مسكنه ومأواه، الله الله كم أهواه، جل في حسنهِ عن سواه، كالبدر في ليلة تمامه، وكالشمس في شروقهِ وصفائه، يا بدري وشمسي وشعوري وحسي، بقربك ترتاح نفسي، وإذا ابتعدت زاد همي ويأسي، ما أجملهُ وأبهاه وأروعهُ وأسناه، وأحسنهُ وأقناه، رشيق القامة أزج، باهي الصورة واضحاً أبلج، مقوسَ الحاجبين، أدعج المقلتين، مكحل العينين، مُورد الوجنتين، في مبسمهِ عذب الرضاب، وفي شفتيهِ رغوة العسل، ثناياهُ متلألأة كالثلج والبرَد، منقش الكفين بحمرةٍ كالعنم ناحلات القدود، مثمرة النهود، باهيات الخدود، مطوقة الجيد، بأغلى العقود، ناعسات العيون، فاترات الجفون، غدآئرها مسبلاً مجعد، كظلمةِ الليل الأسود، أصبحتُ بحبهِ صبَّاً هائماً متيماً، مجنوناً عاشقاً مدنفاً، مشغوف كلفٌ بغرامها!
يا ترى كيف أخبرهُ بأنني أهواه، وأن في مهجتي مسكنهُ ومأوه، وأني به مفتون حين ما أراه، أقفُ معتدلاً ناظراً إليه مترقباً غمزةُ العينين، ولحظةُ المقلتين، ولمحةُ الرموش مصاباً بسهمهِ الفتان!
يا نشوتي وخواطري، وهمتي وأفكاري، أنتِ جنتي في الحب وأنتِ ناري، وصحوي وأمطاري، في عيناكِ أحلامي وآمالي، أنتِ كل طبي وشفائي، في هواكِ ذقتُ كل عنائي، لا تسأليني من أنا وأنتِ

في فؤادي لكِ موطناً وأرض فكيف لا يعرفُ كل إنسان موطنه؟!
لا تسألي من أنا وأنتِ في صدري و أحشائي، وبين جوانحي وكل كياني، سريتي في أعظمي ودمائي. لدي كلمةً أُريد قولها وقد قلتها إني أحبكِ يا روحي وريحاني، أجابتني وقد سمعت مقالي وقالت يا هذا عرفتك صادقاً في كل شيء، صدوقاً وفياً عفيفاً طاهراً كريم الأخلاقِ طيب السجايا، مثالاً لأرقى الخصال تهوى وصالك وحبك كل الجميلات، فكيف لا أهواك!
فقلت لها لكِ الدنيا وما فيها ثم نظرتُ إلا محياها فرأيتُ بسمتها كالبرق اللامع، وشاهدت بهاء خدها كالقمر الساطع، وترقرقت دموع عيناها فرحًا على الخدين كلآلئ النرجس، فعلمتُ أني قد سكنتُ في ذاتها، فقالت لا تحدث أحداً بحبنا، وتحلاَّ بالصبر حتى يجمع الله بيننا إذا أراد، ثم نظرتْ إليَّ واستمرت في طريقها راجعةً إلى بيتها، أما أنا فقد غمرني حبها وصرت كأنني في خيالها، أتيه في عالم الأحلام، أفكرُ أهذهِ حقيقةً أم سباتٍ في المنام؟! كنتُ كل يوماً أحضرُ لكي أراها لا تغيرنا صروف الأيام، ولا تطغى علينا شدة الآلام، نسير في حبٍ وعشقٍ وهيام.

يا حلوتي، أنتِ أول قلبٍ عرفته وآخر قلبٍ أهواه، العزة حنيّة، والحنان حب، والحب حياة، والحياة قلب، والقلب أنتِ!
بلاغة الحب فيكِ جسدت بعلومه الثلاثة: بديع الحب في جفنيكِ، ومعانيهِ في عينيكِ، وبيانهِ في رموشكِ، بلاغة الحب في عينيكِ قد جمعت، فكيف لا أهواكِ!؟
وفي شفتيكِ النحو والأدب، فكيف لا أهواكِ!؟
كنت أهوى لقاكِ، فلما وجدتكِ ما استطعتُ أن أراكِ، وكيف لي أن أراكِ وقد أخذتِ عينايَ وبصري!
قالت قد زدتني شوقاً وشغفاً وحباً يجذبني إليك، ماذا أقول عنك

وكيف أعبر عن حبي؟
إذا حاولت كتابةً عنك وعن حنيني إليك، يعجز لسان حالي وتحتار أفكاري في وصفك، وتعبيري عن حبك! لقد نفذت أوراقي وجفَّ حبري في حبك، ولكن لدي سؤال: كيف كانت بداية الحب أُريدُ أن أعرف نشأته؟ لقد فكَّرتُ فيه كثيراً يا حبيبي!
فقلتُ الحب فطرة الانسان، ولكن كيف أُستخدم الحب قديماً وكيف وصل إلينا؟! إن الانسان منذُ أن عرف الدنيا نفسهُ تحب وترغب وتتوق وتشتاق إلى محباً يشتاق إليه، يسعد بقربهِ ويحزن لفراقه، وتخرج زفراته ولهاً ويساهر النجم، ويتكبد الأرق! لكن قديماً لم يستخدم كذلك وخصوصاً حب النساء، فقد كان الرجال يعيشون كالوحوش!
وكذلك النساء لا تأتي إلى الرجال إلا مقيدةً أو مضروبة!

كما قال الشرقاوي:
فكان الرجل يخرج من كهفهِ مساءَ كل يوم آخذاً صميلهُ على كتفه، فيسير في الطريق فينتقي أجمل الغانيات صاحبة الجمال الفائق، فيسير متخفياً من خلفها، فيأتي من ورائها فيصرعها بصميله فتلقى على الأرض دون وعي، ثم يأخذها على كتفه إلى كهفه فيبيتُ معها ليلته...

وهكذا كل ليلة يأتي بفتاتٍ أُخرى إلى كهفه واستَّمر هذا الحال زمناً طويلاً، إلى أن اصطفى الله عز وجل إحدى الجميلات وقذف في قلبها معنى الحب، وجعل في صدرها ذوق العاطفة وهيأ فكرها إلى ترقية الحب وتطويره، فعلمتْ أن الحب شيء جميل وشيء رائع! فخرجتْ تبحث عن رجل يفهم قصدها وما تهواه لتخلد شيئاً جميلاً

عن الحب، يحفظ حق الرجل والمرأة معناً سامياً يتوارثهُ المحبون والعشاق، وبينما هيَ على شاطئ البحر وقفت تنظر إلى الرجال كالوحوش يصطادون الجميلات، نظر إليها أحد تلك الأسود فأعجب بحسنها وافتتن بجمالها، واقترب إليها ليوقع بها صريعةً بضربة صميله، فلما رأتهُ ابتسمت في وجهه وأمسكت يدهُ بلطف ورقة وحنان، قائلة لهُ: أنا سأذهب إلى كهفك طائعة لك، ماشيةً ورائك دون أن تفعل شيء! فنظر إليها فلم تطاوعهُ نفسه أن يأخذ صميلهُ على تلك الجميلة، فألقى ذلك الصميل على الأرض ثم رجع إلى كهفه وهي تحثُ الخُطا إليه، كان الرجال ينظرون إليهما بتعجب واستغراب! متسائلين كيف انطلقت معهُ راضية غير كارهة؟! في تلك الليلة لم تلمس يدُ الرجل تلك المرأة، وأخبرته عن الحب وألقت في قلبهِ ما في قلبها وما تريد، ثم عادت وهي لم تصاب بسوء، وفي الليلة الثانية خرج هذا الشاب كعادتهِ إلا أنهُ لم يأخد معهُ ذلك الصميل كما يفعل الآخرون، يبحث عن حبيبته التي أُشغفَ بحبها ورق فؤادهُ إليها وحن ضميرهُ شوقاً إليها! متيماً بغرامها لا يبحث عن أحداً غيرها، فما وجدها تلك الليلة ثم عاد إلى كهفه ليس معهُ أحد!

لم يفعل كما فعل الآخرون ونام في كهفه وحيداً، وفي الليلة الأخرى خرج من كهفهِ يأمل رؤيتها ولم يشتاق إلى أحدٍ غيرها، فلما وصل إلى شاطئ البحر رآها واقفة تلحظ برمشها وتغمزهُ بطرفها!
فاقترب إليها وهو في غاية السعادة قائلاً لها: بكِ قد عرفت شوق الفؤاد ولهفة الحب، لا أحب أحداً غيركِ ولا أهوى غانيةً سواكِ، ولم ترى عيني حسناء كبهاء خدكِ، أظنُ أنهُ سيأتي زمان يجعلونَ للحب عرشاً تتربعُ عليه سيدةُ الجمال، وكل الغيد والغواني يطيعون أمرها، فهي أنتِ تلك الملكة على عرش الجمال! إذا أدركنا ذلك

الزمن الذي يجعل العاشقون فيهِ للحب عرشاً!
ابتسمت وقالت: لقد قذف الله في قلبك معنى هذا الجمال، فأنتَ وأنا سوف نكونُ في ذلك الزمان على ذلك العرش كتاباً يُقرأ، وقصةً تحكى على مسامع العشاق، وهنا سيوقن الجميع ويصدق أن للحب قدوة، وأن لهُ مؤسسون اتبعهم العشاق!
وتلك القصة التي تحكى والرواية التي تخلد في عرش الحب، هيَ أنا وأنتْ.

وهكذا في كل ليلة يلتقي الحبيبان لتأسيس قواعد الحب وقوانينه، ويرجع الشاب إلى كهفه وحيداً بعد أن يرى معشوقتهِ، فينام مطمئناً!
هكذا بدأ الحب وهكذا تطور ووصل إلينا بمعناه الرفيع! وأصبح في زماننا للحب عرشاً يتربعُ فيهِ الحسينات الجميلات الغواني!
إنها أنتِ ملكة هذا العرش يا حبيبتي!
قالت: لقد أسمعتني ما كنت أجهلهُ عنِ الحب! فقلت لها أنتِ الحب كله، قالت كيف كانت نهايةُ العشيقين اللذَينِ أسسا معنى الحب؟!
-آه يا حبيبتي، ما كنت أُحب أن تسمعي نهاية قصتهما!
هنا قالت لماذا؟! لقد زدتني شجناً وشوقاً وحباً لسماع كمال القصة ونهايتها!

-يا حبيبتي، لقد كانت نهايةُ حبهما محزنةً جداً! خيمت عليهم سحابة الفراق وأمطرت أعينهم دموع الألم، وتوالت عليهم الآهات والحسرات والأنات، وتجرعوا مرارة النوى والبين والفراق والبعد، وتقطعت أكبادهم وتلاشت أفراحهم.
قالت كيف ذاك ألم يلتقي الحبيبان! ألم يصل كل محبٍ إلى ما يرنُ إليه! ألم يضمها إلى ذراعيه!

ألم يتنعم في جنة صدرها! ألم يعيش في حضنها! ألم تسقيهُ كأس المحبة! ألم يرويها من عطشها إذا ظمئت! ألم تسقي صبابتهُ إذا ذوت!
كيف افترقا وكيف نئا كل محبٍ وكيف هدأت القلوب؟! وهل جفت الدموع من المَئاقي؟
أخبرني بربك لقد زدتني شجناً؟!

-يا حبيبتي، لقد استمر بهم الحب أمداً طويل، وأراد كل واحدٍ منهما أن يحقق حلمه باللقاء الدائم، وسكنٌ في بيتٍ واحد يغمرهم بالمحبةِ والحنان، ويطفؤا لهيب البعد بنعيم الوصال، لكنهم ما وصلوا لذلك الحلم، في ذلك الوقت قلّ الأطباء، وكثر الوباء، وانتشرت الأمراض المعدية حتى أُصيبت تلك الجميلة الغانية، صاحبة الذوق والاحساس بإحدى تلك الأمراض، فكان يكتم أنفاسها شيءٌ في الصدر كأنها غصةٌ تمنع صعود أنفاسها!

تأتيها أحياناً وفي آخر الأيام سرعان ما كانت تتكرر تلك الغصة في صدرها، فأيقنت بأنها ستفارق الحياة! فأرادت وداع حبيبها بضمةٍ أو بقبلةٍ أو بآخر نظرةٍ، فأرسلت إلى عشيقها أن يأتي إلى حديقةٍ بجوار منزلها قبل منتصف الليل خفيةً عن أعينِ الناظرين!
جاءت تلك الليلة وتحدَّرت الشمس نحو الغروب في شفقها الأحمر، وهي تنظر إليها وكأنها آخر مرة تنظر إليها! وأسدل الليل ستائر الظلمة، وفي الوقت المعلوم خرجت تلك الفتاة من منزلها ودخلت في الحديقة، واستقرت في المكان المحدد الذي يمتلئ بالعشب الأخضر وتحيطهُ الأشجار المثمرة بأنواعها، وغصونها الدانية

وشلالات المياه بقربها تسقي تلك الأشجار، خرج الشاب من منزله وقلبه مليئ بالطمأنينة والسعادة بلقاءِ محبوبته التي يرى أنها ستكون شريكة حياته، وربة بيته وأم أولاده، ومهوى فؤاده ومأوى سره وكلماته، يسير خُفيةً في تلك الأدغال، يمر تحت الأشجار حتى وصلَ إلى المكان الذي وصفَ له، نظر إلى الأشجار المثمرة والأغصان المزهرة من كلِ مكان، والأرض مغطاةٌ بالعشب الأخضر المحوط بشلالات المياه، وإذا به يرى بدراً مشعاً بنور وجههِ الساطع يتوسط هذه الحديقة الجميلة، إلا أن حسن جمال هذا البدر قد فاق حسن الحديقة! إنها محبوبة قلبه كاد قلبه أن يطير فرحاً، وغمر فؤاده حسن جمالها فوقف ساكناً في مكانه ينظر إليها بتعجب ودهشه! فنهضت من مكانها وأقبلت إليه، أمسكت بيديه فنظر إليها وإذا به يرى الدموع تترقرق من عينيها وتنساب على خدها كلأَلئ!

ثم تتقطر تلك الدمعات الحمراء على كف حبيبها، ثم ضمته إلى صدرها وقبلته في خده وهو في ذهول وانبهار وتعجب ودهشة!
ثم تكلمت بصوت رقيق وتحركت شفتيها ببطء قائلةً: يا حبيبي، إنني أرى فراقنا عن قريب ولم نحقق ما نهواه!
وهنا نطق الشاب قائلاً: من يستطيع تفريق هذا الحب المتين الذي لن يتلاشى أبداً؟!
أخبرته بما أصابها من المرض، وما فيها من علة وأنها أيقنت بالرَّحيل!
فقال لها: لا تسيئي الظنَّ بالله وستبرئي من هذا المرض، ويأتي الشفاء بإذن الله.

وكيف تستطيعين مفارقتي؟! وهل ستدعيني وحيداً وتموتي؟! فمن

لي سواكِ وأنتِ كل حياتي، وأنتِ حلمي وفيكِ سعادتي، وأنتِ كلَّ عشقي ومحبتي، كيف تفارقي قلبي ومهجتي؟!
لا ترحلي عني يا حبيبتي!
قالت: يا حبيبي، هكذا تفعل الأقدار، وهذه نهاية الأخيار، فأنت مهواي وشوقي، وأنت كل حلمي وعشقي، وأنا يصعب عليَّ فراقك يا نشوتي وطيبي! ثم اقتربت إليه واقترب إليها فضمتهُ ضمة مودع، وضمها ضمة محبٍ ذاهب وراجع!
وقبلته تقبيل محبٍّ مفارق، وأعطاها قبلة محبٍ لها عاشق!
ثم نظرت إليه آخر نظرةٍ إلى محبٍ لم ينل منها ما يهواه قبل وداعه، والدموع تتصبب على خدها دماً أحمر قد خضب شفتيها ونعومة كفها، ثم عادت إلى بيتها مودعةً موقنة بالرحيل!
وعاد الشاب إلى منزلهِ متفائلاً بكلِ خير آملاً من اللهِ شفاء حبيبته موقناً بالشفاء.

وفي اليوم الثاني خرج الشاب من بيته، متجهاً نحوَ الحديقة آملاً رؤيةَ محبوبته، وربما يأتيه نبأ يسعده عن الشفاء، ولعلهُ يكحل عيناهُ برؤيتها، وبينما هو يسير على شاطئ الوادي المحاذي لتلك الحديقة نظر إليها وإذا بهِ يرى أُمَّةً من الناس يحيطونَ بالمكان الذي كان فيه لقائه بمحبوبته آخر لقاء، فأخذهُ الشجن وهمَّ أن يذهب إليهم لينظر ماذا هناك، لكن الناس بدأوا يتفرقوا فأسرع بالخطى يهرعُ إلى ذلك المكان فلما وصلَ وقد انفظَّ الناس، نظر إلى المكان الذي ضمته وقبلته فيهِ حبيبته مودعةً له قد أُزيح العشب، وكأن شيئاً وئدَ مكانه وبللَ بالماء!

فوجد رجلاً واقفاً بجانبه فسألهُ عن ما في هذا القبر فأجابهُ: إنها بنتُ صاحب هذا المنزل المصابة بإحدى الأمراض! فلما اشتد عليها الألم

كانت آخر وصاياها أن تقبر في هذا المكان!
عندها علم الشاب بسر هذا المكان وأن الذي يسكنه هيَ محبوبته قد رحلت إلى الرفيق، وأنها ودعت قلبه الذي كان مثمراً بحبها، فأظلمت عليه الدنيا واهتز جسمه، وارتجفت أضراسه، وتقطعت أكباده، وكاد قلبه يخرج من صدره، وتساكبت العبرات من عينه دماً أحمر، وغرق في عرقه وألقيَ صريعاً في مكانه!
فصاح ذلك الرجل الذي كان بجانبه فاجتمع عليه الناس ورشوه بالماءِ البارد وعادوا بهِ إلى منزلهِ ولم يفق من غيبوبته إلا وهو على فراشه، وقد تولَّى الناس عنه، بعدما استيقظ ظنَّ أنَّ ما رآه كان أضغاث أحلام في المنام، ولم يقبل فؤاده هولَ الكارثة التي حلت عليه، لكن تأكد له أن كل ما رآه وشاهده بأم عينيه كان حقيقة، لا مراء فيه ولا شك ولاريب!
بعدما تبين له ذلك وتأكد اشتد نحيبه وشحبَ وجهه، وضعف كاهله ورق كاحله ونحل عظمه
وشاخ جسمه، وخيم عليه الحزن وذاق مرارة الفراق وتقطعت أكباده أساً وشجناً!
وتألم قلبه أسفاً وندم، وتحولت أفراحه أتراح، والوصال إلى بين وفراق!
واشتدت لوعته وزادت حسرته، واعتزل الناس، فلم يعش إلا أياماً معدودة، ثم شخص بصره إلى السماء ونسلَّت روحه إلى ربها ولحق بمحبوبته. هذه نهاية كل المحبين الأخيار الذين يجعلونَ للحب معناً راقياً!
يا حبيبتي، إنني لا أعجب من موت المحبين لكن عجبي كيف يعيشونَ في الحياة!؟
يا جميلتي،
هكذا نحن العشاق، يفتننا الجمال وبهِ نهتم

ونهيم فيهِ عشقاً وإلا نسئم!
لا نبالي بالنهايات ولو كانت هناك علامات، نتعامل بطهارة الحب ونقائه، وجلالة معانيه وصفائه، نرجوا الاستجابة لكن بالخطِّ والكتابة، نهوى ضمةً ونكتفي بالنظرة! ونشتهي قُبلةً فتغنينا البسمة، نوعدُ باللقاء لكن بدون وفاء!
نزدادُ عذاباً فنهيم حباً، نأمل قرباً فنزداد بعداً!
إذا اقتربنا عشقنا، وإذا افترقنا اشتقنا، تصادفنا أحياناً أشياء جميلة فنتركها عِفّةً ونزاهة، تُهزمُ قلوبنا أحياناً فنثبت صموداً!
يُتاحُ لنا النصر فنتراجع إطالةً للمعركة، هذا هو الحب عندنا! وهكذا تعلمناه.

فالحب شيء جميل! وإن كان يطفحُ بالهجرِ والعذاب، هذا هو الحب يا حلوتي!
فالقب كطفلٍ صغير، ينادي حبيبته قائلاً: يا جميلتي، أنا ككلمةٍ في النحو، تُغيَّر علامات إعرابهِ بتحولاتكِ، فيكون مكسوراً وعلامة كسره نأيُكِ وبُعدكِ! ومضموماً وعلامة رفعه ضمة صدركِ ودفء حضنكِ وحنانكِ!
ومفتوحاً وعلامة نصبه بسمة ثغركِ، وساكناً هادئاً وعلامة جزمهِ قربكِ ووصلكِ! ويكون معتلاً حائرًا بصدكِ وهجركِ، ويكون ممنوعًا من الصرفِ ثابتاً في صدق حبكِ يا حبيبتي،
هكذا هو الحب، لا يأتي مكتملاً فله لغة يستطيع قرائتها من صدق في حبه!
لغة الحب:
عندما تذكرني في رسائلها تقول: (عزيزتي)
مخافة أن يعرف قصتنا أحد، فتكنِّي بالتاء

وتقول عزيزتي!
نعم يا حبيبتي، هكذا بداية العشاق وحياة المحبين، لهم لغة خاصة تسمى لغة الحب!
لها ترجمةً خاصة يقرأها كل محبٍ عن حبيبته، وكل عاشقة تقرأها في رسائل العاشق!
يقول أهل اللغة العربية أن هناك أحرف مَبنى أي تبنى به الكلمات ومن الكلمات تكون الجمل.
أما في لغة الحب فلكل حرف بذاته معاني وعبارات، ليست ثابتة ولكن متغيرة من موقف إلى آخر، وكل ما زاد العشق تعمق المحب في لغة الحب.

يا حبيبتي، إنكِ عندما تكتبي عني (عزيزتي) فأنا لم أقرأ ما كتبه القلم في الأوراق، ولكني أقرأ المعاني والأشواق، وما يتمنى القلب أن يقول من الأعماق، فعندما أقرأ كلمة _عزيزتي_ لم أقرأها كما رسمتْ، وإنما الغاية من كتابتها، فأقرأُ العين حاء، وكل زاي باء، وأما حين تنظر مقلتي إلى كلمة _عزيزتي_ فأرى العين في الكلمة عيناكِ الجميلتين، ورمشيكِ الساحرين، وحاجبيكِ المقوسين، ودعجكِ الأكحل، وطرفكِ الأحور!
وأرى في كل عين منكِ نهر متدفق، وأرى في كل زاي من الكلمة زهرة ورد في وجنتيكِ، على شاطئ أنهار عينيكِ سقيت منها فزهت وزادت حمرتها!
أما حينما أنظر إلى الياء في الكلمة فأشاهد يدان عصماء قد نقشتْ الكفين، أخذت أطراف أناملها قلم كياقوتة حمراء أخذته درر الأنامل ولآلئ الأظافر! يكتب بماء الذهب، على أوراق الزعفران!
وحينما أشاهد التاء في الكلمة، فمرة أرى تاجً قد نُجِّدَ بالزُّمرَّد

وبالزُّبرجَد على مفرق الرأس والحاجبين، ومرة أخرى على صدركِ الغض درة جميلةً توسطتْ درراً أصغر حجماً منها!
وأنظر إلى الكلمة مرة أخرى فأراكِ فيها كاملةً بغير شك! أرى طرفاً أحور ورمشاً مشهر، وفي الوجنة ورداً أزهر، وخداً أقمر، ومبسماً أحمر، قد حوى سلسبيل الكوثر، وثنايا كاللؤلؤ والجوهر، وجيداً قد تربع على الصدر كإيوان قيصر، وصدراً من كل فاكهة أثمر، وخصراً دقيقٌ أهيف أشقر، يحسده الغصن في تثنيه الأنظر، وعندما أقرأ كل حرف من الكلمة فآتي إلى العين، فإذا فيها: علمتُ يا حبيبي حبك لي وهيامك لي، يا حبيبي عبث البعد بك وبي، وكما كان الهجر معذبك فهو معذبي!

عشقتك كثيراً فاشتدت علينا صروف الزمان فعليك سلام من قلبي في كل آن، وفي الزاي الأول زادَ شوقي إليكَ كما زاد شوقكَ لي!
وفي كل لحظة ذكرك في قلبي،
كل لحظة ذكرك في قلبي كذكرك لي.
وفي حرف الياء في الكلمة _يا خلي_ «والياء لم يكن للنداء وإنما للتنهد لإننا قريبان من بعض في الحب»
كتبتُ فيك حتى جفت الأقلام ونفدت الأوراق وأنا لا زلت متيقنةً باللقاء، وفي الزاي الثاني زمن الفراق طال،
يا خلي، وأرقت الليل ورأيتك في ضوء القمر وشفيت قلبي بشعاع نورك في ذلك القمر!
وفي التاء تمنيت لو أنَّا التقينا واكتحلت عيني برؤيتك، وتنفست من عطرك وريحتك وأرويت ظمأي من رحيق مبسمك، وأخمدت نار قلبي ببرودة قبلتك، وداويت ألمي من حمرة وجنتك! وتحدثت معك حتى تعلم مدى حبي لك.
نعم هكذا تقرأ رسائل المحبين فهو لا يقرأ في الرسالة ولا يشاهد إلا

صورة المحب.
فالعاشق حقاً الذي لا يرى محبوبته إلا بصورة ملاك، ويقدسه كما يقدس الحب المحبين ذلك النور الإلهي، الذي يراه المحب في تلك الملاك! فكأنما الحور العين ألقت ما في خدودها فأنزل مع ملك إلى الأرض، فرأى تلك الحسناء مبتسمة فألقى ذلك النور فيها فكانت مثلاً للجمال!
ومن رآها وهو لا يعرف الدين ولا يعرف أن هناك ربَّاً خالق، علم من ذلك الجمال الذي تمثل في هذه الحسناء أن هناك خالق جميل مُستَحَقٌ للعبادة!

فيبدأ بالبحث عن ذلك الخالق إنه الله تبارك أحسن الخالقين!
يا حبيبتي، إن صوتكِ لي موسيقى وغناء، وبسمتكِ ملجأ فرحاتي ونشواتي، أما عينيكِ الجميلتين فأرى فيهما سعادتي ومستقبل حياتي.
نعم يا حبيبتي، مهما طال البعد فإنا سنلتقي ولكن علينا أن نصبر ونرضى بما نحن فيه، كالفقير الذي لم يحصل على الغنى فرضيَّ بفقره!
وكالمريض الذي لا يجد ثمن الدواء فيرضى بمرضه ويُفَوض أمره إلى الله، فأنا وأنتِ لا حل لنا غير الصبر! واعلمي أنه مهما طال الليل فلا بد من فلق الصبح!
ومهما زاد الألم فلا بد من التئام الجرح!
والسلام عليكِ يا طبي والطاء حاء، ويا حربي والحاء شين، ويا مرامي والميم غين.
والسلام لقلبك!
التسّمية
رأيتها في الطريق مع صويحباتها كالقمر وسط النجوم فما أحلى

طلعة النجوم حول القمر، ورأيت في يدها وردة فلم أعلم أيهما تلثم الأخرى فتارة تضعها في مبسمها وتارة بين كفيها، ومرة تضمها في صدرها ثم ترفعها إلى شفتيها فتقبلها، ثم تنظر إليها وتضعها على خدها، ثم تداعبها بين كفيها،

فقلت في نفسي: لقد عبثت بك الوردة.

يا الله ما أسعد تلك الوردة!

ثم قالت لصويحباتها: إني لم أشبعها ولم تشبعني ووضعتها في حقيبتها! وبينما هي في الطريق إذ هموا بالجلوس على سفح روضة مثمرة وكان الوقت قبل غروب الشمس، فنظرتُ من بعيد إلى مبسمها كحمرة الشفق الأحمر عند الغروب، ورأيت محياها كصفحة الشمس وفيها شفق الغروب يتغالب عليها آخر النور وأول الظلام، حديثها كجرس الموسيقى أما إذا تحدثتْ عن شيء عجيب سمع لضحكتها رنَّةُ جرس لا يوصف.

يا حبيبتي، إنني من أول كتابتي فيكِ لم أسميكِ ولكن هنا سأجعل لكِ اسماً أناديكِ به في مقالاتي...

نعم ربما لم يكن اسمكِ الحقيقي لأنني لا أحب أحداً

أن يعرفه، ولهذا فإني اخترت لكِ اسماً وهو ياسمين؛

لأنكِ ياسمين قلبي، وعطر روحي، ونفحات حبي، وسميتكِ بهذا الاسم لأن فيه الألف والياء، فأنتِ كل حياتي من الألف إلى الياء، أي من البداية إلى النهاية!

يا ياسمين إن كثيراً من الناس يظنون أني لا أرى صورتكِ الجميلة، كما يقولون أنني ضعيف البصر!

ولكن لا تحزني يا ياسمين فهؤلاء الناس لا يؤمنون إلا بالشيء المادي، لم يعلموا أن هناك بصيرة في القلب تفوق البصر وتفرق بين القبيح والجميل!

وأكبر دليل اختياري لكِ أيتها الجميلة!

ولهذا لم أذكر اسمك الحقيقي، فمن رآك آمن بالبصيرة!
يا ياسمين، تمرَّ بي أحياناً بعض الجميلات وبينهن أنتِ، وأنتِ عكسهن فمن أول نظرة يتبين لي من هي صاحبة الجمال، إن حاسة القلب لا تخطئ أبداً!
يا ياسمين، أنا سأذكر صفات جمالكِ التي تجسدتْ فيكِ، فإذا جاءتكِ الرسالة فاقتربي إلى المرآة واقرأي ما في الرسالة، ثم انظري إلى جمالكِ في المرآة، عندها ستتأكدي أن البصيرة تفوق البصر!
يا ياسمين ما أحلاكِ هيئةً وجمالاً!
رأيتكِ يوماً على عجلٍ وأنتِ لا تعلمين فرأيتُ ظلمة الليل في شعركِ كديباج من الحرير فهو كثيف المنبت طويلٌ مُسبل!
ورأيتُ غُرَّة كأنما أشرقتْ فيها الشمس!

وحاجبين دقيقين مقوسين كالهلال أبلج الحاجبين أي أنهما غير متصلين..
كحلاء العينين مُدعجة المقلتين في طرفها حور، وفي رمُشها سحر هاروت وماروت!
وفي العينين بحرٌ عميق، ووجنتين كالعقيق، وخد كالبريق، مدور كالبدر تجري في محاسنه الشمس! ظاهرة الوضاءة مليحة الوجه باهية المحيا،
أما عن الشفتين فلله ما أجمل ذلك الينبوع الأحمر الصغير المحكم كالخاتم!
وما أشهى خمرة الريق فهو أحلى من الشهد وأصفى من الكوثر!
وأما عن الثنايا فكالدرر تتلألأ في بياضٍ كالثلج، في استواءٍ رهيب بين كل ثنيَّةٍ وأخرى، فُلَجةٌ صغيرة يتدفق منها النور وجيدٌ طويل كإبريق الذهب والفضة!
أما الكعوب فلله ما أجمل تلك النهود كالبراعم المزهرة قبل

النضوج، بينهما لجة مغدقة بالودِّ والحنان! متوسطة الكتفين كسبيكة من الفضة، لطيفة البطن هضيمة الكشحين عصماء اليدين! ناعمة الكفين كالزبد مخضبة الأطراف
ممشوقة القد هيفاء الخصر!
رقيقة الساقين رشيقة القامة إذا خطرت لها أقدامٌ كأقدام الحمام!
أما عن القامة فهي وسيطة بين الطول والقصر يعلو هذا الحسن نورٌ إلهي ينبثق من كل عضوٍ من هذه الحسناء،
غانيةً بجمالها دون الزينة وسيمةٌ قسيمة صبيحة الوجه!
وضاءة البشرة جميلة الأنف حُلوة المقلتين نجلاء العينين، فاترة الجفون ناعسة الطرف مليحة الفم ظريفة اللسان!
وكمال الحسن في شعرها لبيقة في الشمائل بيضاء رعبوبة كالشمس بغير حرارة، خُودٌ في منظرها دقيقة المحاسن مملودة، إذا مشت أرعدت رطوبة، وغضاضة رقراقة المُحيَّا رقيقة الجلد ناعمة البشرة! نَظِرة طيبة الفم رشوف عاطرة الكَفِّ والمعصم فهي حصينةٌ عفيفة عذراء!
رخيمة الصوت يغمرها الخجل والخفر والحياء، كاملة الأوصاف والخصال فسبحان من أبدع وصور! وجعلها مثلاً لمن تَفَكر وتعبَّر فتبارك الله أحسن الخالقين، وما أروع من شاهد وعَبَّر!
يا ياسمين انظري إلى المرآة كما أخبرتك سابقاً وسترين أشياء ومحاسن فيك لم تعلميها من قبل، عندها ستتأكدي حقيقة البصيرة وحاسة القلب!
ومع هذا فإني قد قصَّرت في أوصافكِ وإنما ذكرت أدِلةً لتعرفي حاسة القلب!
نعم يا ياسمين أنا لم أكن كفيف البصر تماماً وإنما نقصٌ في النظر ليس إلا!

فأنا أشاهد الأشياء الظاهرة وقلبي يحدثني عن الأشياء المخفية ولله الحمد.

يا ياسمين سيُحكى أن شاباً كان شديد الحياء ولا يعرف شيئاً عن الهوى وإذا تكلم مع أحدٍ تلعثم في الكلام، كان في مدرسته شديد الذكاء يحترمه المعلمون لِما فيه من الذكاء والحنكة والمعرفة!
وإذا جاءتْ إليه إحدى زميلاته لتسأله عن شيءٍ تراجع إلى الوراء وانصرف دون إجابة!
كان زملاءه يتعجبون من هذا الشاب كيف سيواصل دراسته وكيف سيختلط بالناس!؟
كان يحب قراءة الكتب والاطلاع ولا سيما الشعر والأدب، أكمل دراسته الثانوية وأراد أن يلتحق بالتعليم العالي، وبعد أيام حصل على الدعم المادي من والده فالتحق بالجامعة وسجل في قسم اللغة!
كان معه زملاء وزميلات، وكان لديه صديق إذا حدث معه شيئاً رجع إليه فيرشده إلى الصواب.
في يوم من الأيام بينما هو في طريقه عائداً من الجامعة اعترضته إحدى زميلاته التفتت إليه ثم قالت: يا زاهر كيف كانت معك محاضرة اليوم؟ فأطرق نظره إلى الأرض خجلاً مما سمع، حائراً بين المتراجع والمجاوب!.. وبعد أن أصابه الذهول وكاد قلبه يبلغ حنجرته وهو مضطرب نطق قائلاً: نعم فهمت ولكن لماذا؟
فتبسمتْ وقالت له لا شيء ثم انصرفتْ في طريقها، هنا اهتزت جذور قلبه من هذه الكلمات وبدأ يتسع ويعرف معنى الحب والإحساس!
ثم عاد إلى منزله وتلك الكلمات لا زالت تتردد في خاطره، مرة يشكر نفسه لأنه لم يجب على سؤال تلك الفتاة مما أرادت، وتارة يندم على ما بدر منه وعاطفة قلبه كادت تتغلب عليه وتدفعه إلى

التقدم نحوها!
في اليوم الثاني ذهب كعادته إلى جامعته وفي طريقه حدَّث صديقه بما جرى معه فأرشده صديقه أن يقف لها في نفس الموقف ثم يفعل ما فعلته في اليوم الماضي، وأثناء عودته وقف في نفس المكان فلمّا رآها في طريقها ناداها باسمها كما فعلت،
يا ياسمين!
التفتت إليه فسألها: كيف كانت محاضرة اليوم هل فهمتِ شيئاً؟!
فأجابته بنفس إجابته: نعم ولماذا؟
قال: الإجابة معروفة لديكِ ونحن زملاء لا بد لنا من التراجع فيما بيننا!
فوافقته بصفتهم زملاء، أجابته نعم صدقتَ من الآن سنبقى على تفاهم وتواصل فيما بيننا،
ثم انصرفا كلٌ منهما إلى منزله وبقيا على تواصل فيما بينهما!
أما زاهر فكان قلبه كل يوم يتسع وينبثق منه حبٌ وشوق، ومن هنا بدأ بينهما الحبُّ يزيد يوماً فيوم! فتوسعتْ معرفته وزاد فهمه، حتى أصبح ذلك الشاب الخجِل المتلعثم يخبئ أشياء ويخفي أخرى عن صديقه الذي كان يخبره بكلِّ شيء!
إلا أن زاهر مع معرفته بمعنى الحب لم يترك شيئاً من مبادئه التي ترعرع عليها، ولم يخضع للدناءآت التي تخالف الإسلام!
أصبح هذا الشاب قاب قوسين من الحب بعد أن كان قاب شمسين!
عرف الأرق وسهر مع النجم وعرف شوق العاشقين وهيام المحبين، وحنين المفارقين وألم المهجورين! يسهر ليله في التعبير عن المشاعر والأحاسيس ومعاني الحب....
الخلاصة أن هذا الشاب أصبح أمير العاشقين!
ازداد شغفه في ياسمين وتاقت نفسه أن يعبر لها عما في ذاته من الحنين، وولهه العاشقين، أراد أن يحدثها ما يعيشه نحوها فقرر بعد

أن انتهت المحاضرة أن يلتقي بها في مكان ما وأخبرها عن المكان، قال لشيء ضروري وهي لا تعلم ما ذاك فوافقتْ! وفي الوقت المحدد انطلق زاهر إلى المكان المعلوم وظل ينتظر وصولها إليه تريّثَ يفكر كيف يحدثها وأيّ وسيلة يستخدمها لتعرف مدى حبه لها!؟

وبعد انتظار طويل وكاد اليأس يتدرج في قلب زاهر أقبلتْ تلك الجميلة! هنا تبسم زاهر وانزاح يأسه وأشرقتْ شمسه وأضاء قمره وأطل نجمه عليه وتحقق مُناه، إنها ياسمين..

نظرتْ إليه وقالت: إلى متى كنت ستبقى منتظراً وإذا كنت أخلفت وعدي؟!

أجابها قائلاً: سأبقى منتظراً حتى تسألي نفسكِ هل ما زال ينتظر؟! ثم تأتي فتجدي نعم!

قالت: على كل حال ماذا تريد أتيتك طائعة،

هل في قلبك جوهرة تريد إظهارها، أم مشكاة تريد إينارها، أم زهرة تريد إثمارها أجِب؟

فتبسم زاهر وردَّ قائلاً:

ماذا أجيب وفي شفتيكِ أجوبتي؟!

ماذا أقول وفي عينيكِ أسئلتي؟!

هذا مرادي وسؤلي يا معللتي، سؤالي كيف عرفتِ ما أريد؟

أجابتْ قائلة: فالحب يرعى قلب من عشقا، ومن ملامح عينين المحب يرى ما يخفيه قبل الكلام وإن نطقا، يا حبيبي ألم تعلم ما قيل عن المحبين!

إن حديث الروح للأرواح يسري..

فنظر إلى عينيها هنيهة ونطق قائلاً:

نار الهوى في فؤادي كاد يحرقني، وذِكر حبكِ طول الليل أرقني،

أردت أن أخمد ناري فقلت لها ما في الفؤاد من الآهات والشجني، فلا تصدي فؤادي ماله أحداً سوى وصالكِ يا خوفي ومؤتمني، أحبكِ حينما أرى لون السماء في عينيكِ، فما أجمل الكحل في عينيكِ! كأنهما شواطئ بحر تجذبني آه يا ياسمين ليتكِ تعلمين أنكِ أنتِ عمري وحياتي فكيف السبيل إليكِ، أحبكِ بجنون واشتياق، وولهي عليكِ يُميت نبض قلبي ودمي وكياني! تصرخ باسمكِ يا حبيبتي.

فتنفستْ صعداً وقالت: لا أقول لك شيئاً حتى تجيب فإليك أسئلتي!

فقلت اسأليني إني عند أجوبتي، وفي فؤادي جواب لكل سؤال سألتي، فقالتْ: هل أنت تذكرني إذا نسيت؟

فأجبت كيف أذكركِ وإني لست أنساكِ، أحببتكِ فكيف لي أن أحب سواكِ، أهواكِ فكيف لي أن أنساكِ، أنتِ الهوى وأنتِ الفؤاد!

قالت: هل تحبني حقاً!

قلت: ماذا تريدين فوق الحب برهنة بعد أن اعترفتُ به، فلا تسأليني عن الماضي ولا تسألي عن ضجته، ولا تسألي عن حكاياتي فمن اليوم أنتِ كل حكاياتي!

من يعرف أن ليلي ونهاري من بعض نورِكِ يأتلق، ومن كان يدرك أن قلبي فيك يحترق!

ثم سألتْ قائلة: ما مدى حبك لي؟

فقلت لها: ما كان حب عنترة لعبلته ولا قيساً لليلاه ولا جميلاً لبثينته ولا كُثَيرٌ لعزَّته، من حبي إليكِ إلا كما يأخذ المخيط من البحر أو قطرة من مطر غزير ينصب من السماء!

فتنهدتْ وقالت: كما أحس به قد كان يشعر بي وأن ما عشته قد كان مشتركاً بيني وبينك يا سؤلي ويا طلبي، ثم قالت: أريد منك معاهدة أن لا تخون وتبقى خالص الذهب!

أجبتها يا معاذ الله لم أكن قط يوم خواناً ولا طبعي ولا أدبي!

قالت: متى يجمع الرحمن مسكننا حتى نكون أنا أم وأنت أبُ؟
فقلت: عما قريب يكون الشمل مكتملاً أنا وأنتِ معاً في أشرف الرتبِ، آه يا ياسمين نفد الصبر وطال الأمد إلى متى سأظل أتيهُ في عينيكِ الساحرتين؟ وألهو في شفتيكِ المحكمتين؟
متى أثمل من ريق شهدكِ وأقتطف من خديكِ تفاحتين؟ متى أنظر إلى ذلك المحيا الأبيض كالثلج، فالشمس تأخذ منه ضوءها والبدر يقتبس نوره من نورها! متى تلامس أصابعي جعدكِ الحريري الذي يقتبس الليل منه ظلمته؟ متى نرفرف معاً في سماء ليس فيها غير سوانا؟
فقالت والحنين يملأ قلبها: أحبك في فجري وليلي، أحبك في صحوي و نومي، دمت لي شيئاً جميلاً لا ينتهي!.
ثم افترق الحبيبان وعاد كل منهما إلى بلدته التي هو فيها ولا زالت تلك اللحظات تتردد في أذهانهم، تلك الدقائق التي مرت كلمح البصر وظلا كلاً من زاهر وياسمين على تواصل بينهما لأنهما في قسم واحد ولم يكن بينهما عائق يمنع التواصل بينهما! وفي كل يوم يلتقيان في الجامعة مع الزملاء ولا يعلم أحد ما يَكنُّ هذان الإثنان من حب جميل لا يعلمه إلا الله!
انطوت الأيام، ومضت الأعوام وانتهت أسفارهم في الجامعة وانقطع التواصل فيما بينهما، إلا أن ذلكما العشيقان ثابتان على عهودهما وإن انقطع التواصل!
الشاب زاهر ذلك العاشق المتيم الهائم المحب، ضاقت نفسه وكاد فؤاده يفري صدره من شدة الإخفاق شوقاً إلى ياسمين!
أما ياسمين تلك المشغوفة المحبة المفتونة كاد يقتلها الانتظار ويودي بها طول الغياب والبعد!
أعزم زاهر أن يحتسي كؤوس العذاب فوق مرارة الفراق فنئا من مدينته إلى بلدة أخرى ليجمع النقود التي بها يستطيع الاقتراب من

حبيبته للزواج
ورغد العيش، ثم عاد إلى مدينته فأعزم على الرحيل إلى المدينة التي فيها زهرة حياته ومبتغاه ولسان حاله
يا ياسمين كلما تذكرت عمري ما ذكرت إلا وفاكِ، ولو أدون ذكرياتي ما طبع فيها سواكِ،
لا تقولي أني نسيتكِ أو أفكر في جفاكِ،
لو تمنيت الأماني ما طلبت إلا لقاكِ!
كنت أشتكي سرعة الأيام بقربكِ واليوم أشكي طولها في غيابكِ..
ليت ربي ما خلق لحظة فراق
ياسمين، كلما جاءها الخُطاب صدّت وأعرضت وقالت في نفسها: إني على العهد لا أخلف الوعد. وصل زاهر إلى مدينة المحبوبة لأنه يعرف مكانها وإن كان هو من مدينة وهي في مدينة أخرى!
لم يكن هناك تواصل بين زاهر وياسمين، ولم تعلم ياسمين قدوم مناها إليها، زاهر يتقدم إلى الأمام نحو منزل ياسمين ودقات قلبه تزداد شيئاً فشيئاً طرق الباب، ويده ترتجف خوفاً وفرحاً فسمع طرق النعال فانحدر إلى ميسرة الباب منتظراً..
بعد لحظات كان زاهر يدور في فكره ربما ياسمين هي من ستفتح الباب فإذا رأتني استبشرت!
ما أروعها من لحظات إذا نظرت عيني إلى ياسمين، وبينما هو يطوف في بحر أحلامه سابحاً إذ خرج عليه رجلٌ كالأسد الكاسر، أسود محياه كالليل المظلم الحالك، محمرة عيناه غاضباً فانقظ عليه، هنا زاهر أوجس في نفسه خيفة وارتجفت أعضاءه واهتز كيانه ويأس من الحياة!
قال الرجل: من أنت؟
لم ينطق زاهر بكلمة واحدة من الفزع وهول الموقف الذي طرأ عليه فجأة!

أمسك الرجل بيدي زاهر ثم أخذه إلى أعلى مكان في ذلك المبنى ثم ألقاه بين يدي شيخ كبير لا يأتي منه إلا الشر!
فنظر إليه نظرة مليئة بالحنث ثم نطق قائلاً: إلقو بهذا الحقير في السجن الفلاني حتى ننظر في أمره، مكث زاهر في هذا السجن ثلاثة أعوام وعام، أربع سنوات عجاف مرت عليه دون أيِّ ذنب تجرع فيه مرارة العذاب والوحدة، ثم أمر ذلك الشيخ أن يأتوا بذلك الشاب فأتوا به على أعين الناس حتى يشهدوا ما قصة هذا!
جاؤوا به... يا ترى هل زاهر هنا في هذا المكان سيبدي ما يخفي في قلبه؟
سألوه من أين أنت؟
قال: أنا من مدينة كذا وكذا.
ما الذي جاء بك إلى هنا؟
هذا السؤال الذي وقف فيه زاهر حائراً ماذا يجيب والملأُ ينظر إليه، وقف متفكراً فأجاب قائلاً: قيل لي أن في هذا المكان يوجد جامعة عظيمه تبحث عن كادر من التخصص الذي أنا فيه ليعلم فيها فجئت أبحث عن تلك الجامعة!
فنظر إليه الشيخ وقال: هل أنت متعلم؟
قال نعم!

تبسم الشيخ فظن زاهر عسى أن يفرج عنه فلعله يبحث عن ياسمين فيجدها في مكان ما، إلا أن ذلك الشيخ نطق قائلاً: ردوه الى سجنه!!
يا ترى ماسرَّ تلك الإبتسامة؟!
عاد زاهر لسجنه وبعد سويعات جاء إليه ذلك الشيخ فنظر إلى زاهر وقال له: هل أنت متزوج؟
قال لا.
قال إني ليس لي ولد ولي ابنة واحدة ورأيت فيك خيراً كثيراً

سأزوجك ابنتي لأن فيكما مستقبلٌ لثروتي.. زاهر لم يكن يعرف والد محبوبته شك في نفسه لعله هذا، قال الشيخ: بعد يومين ستصبح أنت بين أمرين إما الموافقة وإما مفارقة الحياة!

ثم عاد الملك إلى عرشه، أما زاهر فقعد يفكر يا ترى من تكون تلك الفتاة هل هي ياسمين!؟ سألها من تكوني؟

قالت أنا بسمة بنت الشيخ جائني نبأ أن والدي عرض عليك الزواج بي فجئت إليك، وسؤالي الوحيد هل تعرف عن الحب شيئاً؟

فتنهد زاهر قائلاً وما الذي جاء بي إلى هذا المكان ومن أجله اجتزت الصعاب!

قالت هل مرَّ معك مع إحدى الجميلات عهداً؟

قال نعم ولم أخلف الوعد!

فقالت: وأنا كذلك لا أنقض الوعد ثم انصرفت.

وبعد مرور يومين جاء الشيخ إلى زاهر قال له على ماذا أعزمت؟

فقال زاهر: الآن حصحص الحق أنا أحببت من قبل وعاهدت..

والموت أهون لي من أن أخون!

أنا آسف كان لي في هذا المنزل حبيبة فجئت إليها فما وجدتها، فاخلي سبيلي لعلي أعثر عليها!

فغضب الملك غضباً شديداً ثم أمر زبانيته بأخذه وإلقائه من أعلى جبل حتى يموت!

قال زاهر: لا أخاف، إن لي معشوقة واحدة بعد الله وكما قيل ...

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى مالحب إلا للحبيب الاولِ!

فقال الملك: أغربوا به من أمامي جاء يعلمني مالحب!

فذهبوا به وبينما هم في الطريق اعترضتهم فتاة جميلة وقالت: قفوا هاهنا ثم استمعوا ما أقول!

قالوا: من أنتِ حتى نسمع كلامكِ؟

يا الله ما هذا الجمال! قالت: أنا بسمة ابنة الشيخ دعوا هذا الشاب في

سبيله ولا تفعلوا به شيء!
قالوا هذا أمر لا نخالفه أبداً، لقد أمر الملك بقتله سيموت حتماً.
قالت: أقسم بالله إن لم تفعلوا ما أمرتكم به لأصعد الآن إلى أعلى هذا الجبل وأُلقي بنفسي من عليه، ثم أرسل لوالدي أن زبانيتك قد فعلوا بابنتك ما أمرتهم أن يفعلوا بذلك الشاب!
فلم يجدوا حلاً إلا أن يدعَوه في خفية عن الشيخ. نظرتْ بسمة إلى زاهر ثم قالت: إلى أين تريد!
قال: هل لي أن أسألكِ سؤالاً؟
قالت: تفضل وسل ما شئت!
قال: ألا تعلمي أحداً كان يسكن في هذا المنزل؟! قالت: نعم ولعلها ياسمين التي أنت تحبها؟
قال: نعم.
قالت: انتقل بها والدها من هذه المدينة إلى مدينة أخرى.
قال: ولماذا؟
قالت: لقد مرت بهذه المدينة أعاصير وحروب فلم يبقى في البلدة إلا القوي، فجاء والدي بجنوده وأخرج من كان فيها!
قال زاهر: هل لي أن أسأل سؤالاً؟
قالت: سل..
قال: أين محبوبكِ الذي عاهدتيه وهل هو باقٍ على عهده؟
قالت: ممن نأوا من هذه المدينة ولا أعلم شيئاً عنه، إلا أني على عهدي!
ثم سألتْ قائلة: يا زاهر! وأنت هل تعلم أن ياسمين لم تخلف بوعدها؟!
قال: لا أظن ذلك!
قالت: فأنا كذلك لا أظنه ينكر حبي وحبه.
ثم ذهب زاهر قاصداً المدينة التي فيها ياسمين

والسؤال الذي ربما يتكرر في أفكار القارئ هو:
لماذا لم يتصل على هاتفها أو تتصل به؟!
الإجابة: أنه مع تكرر الأحداث في هذه المدينة والحروب ذهبوا منها مجرَّدين من كل شيء في فزع ورعب!
هذا هو السبب.
ياسمين طال الانتظار ونفد الصبر، ستُ سنوات عجاف مرت وهي لم تسمع ولم ترى عشيقها ما الذي يؤكد لها أنه لم يزل على ما هو عليه!؟
لسان حالها يقول: يا غائباً عني لك الحب ما غاب متى تجي وتشوف همي بعينك ما طاب، لي جرح ولا خاطري طاب متى يديّ تحتضنها يديك!.
زاهر مقبلٌ على ياسمين قد نحل جسمه وشحب وجهه وتقرحت جفونه، ضاقت به الأرض بما رحبت! وياسمين نأت عنه ورحبت..
زاهر في أطراف المدينة باتجاه ياسمين، أما ياسمين والدها قد اعتراه الملل من ياسمين، لماذا كل ما يأيته شابٌ ليس فيه عيب ولا نقصان تراجعت ولم تسأم من الانتظار؟! في اليوم الذي وصل زاهر إلى المكان الذي فيه ياسمين وجد الناس يتوافدون إلى منزل كبير ذهب معهم وبينما هو في الطريق سأل أحدهم ما مناسبة هذا الاجتماع؟
رد عليه إنها وليمة عرس لإبنة صاحب هذا المنزل على شاب من أسرة كبيرة!
قال زاهر هل هم من أهل هذه المدينة أم وافدون إليها؟
قال بل وافدون، هنا خطر في فكره لعلها ياسمين فأجابه قلبه لا ما كانت ياسمين لتفعل هذا..
ذهب مع الجمع حتى وصل إلى ذلك المنزل تأخر عنهم قليلا حتى دخل الجمع إلى المكان المعلوم،

أما زاهر يريد أن يعرف يا ترى من هي قمر هذه الليلة!؟ تقدم إلى مكان غير المكان الذي ولج فيه الناس فإذا به يقف على مشارف باب في مصراعي صالة كبيرة، وإذا به يجد معشوقته ياسمين تلك الجميلة في لباس عرسها وحولها بعض الأهالي! وكان في تلك اللحظات والدها بجانها، والسعادة تغمر كل من حولها والفرحة تزهو بهم والسرور يحيط بهم، إلا ياسمين في ألمٍ وحسرة وندامةٍ وحزن!

تجري الدموع على خدها دم أحمر خضبت بنانها من الدمع الذي يسيل من عينيها!

وهو واقف ينظر إليها فقال والدها: من أنتَ يا واقفاً على الباب؟

فنظرت إليه فعرفته ثم نهضت من مكانها وصاحت بأعلى صوتها: يا والدي هذا هو الذي أنتظره طول الزمان دعه يأتي إلي!

فنظر والدها إلى زاهر ثم قال له: اخرج قبل أن أرمي بك من أعلى هذا المبنى..

فقالت ياسمين: يا أبتِ إذا أردت قتله فاجعلنا في قبر واحد، وقف الوالد حائراً فجاءه العريس في تلك الساعة وقال ما الأمر؟

فلم يتكلم زاهر ولم يتكلم والد ياسمين، فتقدمت ياسمين إليه ثم قالت: إذا كنت تعرف شيئاً عن الهوى فدعني أوفي بوعدي.. تعاهدنا منذ زمن طويل والآن جاءت لحظة الوفاء!

وقف العريس قليلاً متأملاً ثم تذكر فقال لوالد ياسمين: دعها مع محبوبها.

قال: ولماذا؟

قال: تذكرت عهداً لي منذ زمن طويل وإني ذاهب إليه ثم انصرف.

وكان ذلك العرس عرس زاهر بمحبوبته ياسمين.. وعمت الفرحة من جديد،

وانزاح عنهما ما كان من التعب والسأم!

وصل كل منهما إلى مراده وتحقق ما يهواه، هنا ستقتطف الثمار وسيطوف كل واحد في بستانه ويأخذ منه الأزهار، ستخضر الأشجار اجتمع الشمل واكتمل الوصل وعاد زاهر بمحبوته إلى مدينته!.

أخي القارئ أو القارئه!

إن اللطيفة في هذه القصة التي يجب أن نتأمل فيها أن الحب العفيف لا يضيع وأنك ستدركه مهما طال الزمن، وإن صبرت وتعذبت سوف تصل إلى مرادك بشرف وعزةٍ وفخر وتوفيق من الله!

دون الخضوع إلى الدناءات والسفاهات،

وأن حب زاهر وياسمين حباً عفيفاً لا يخالطه شك ولا ريبة!

وسيتحقق لنا ما نطمح إليه،

أما أنا ذلك الشاب الذي كنت لا أعرف شيئاً عن الهوى أصبحت سيد العشاق! آتي للحب من أبوابه الرفيعة فهذا هو الحب العفيف وإن المرأة إذا اعترفت لشاب بحبها لا تنقظ عهدها ولن تتراجع وكذلك الرجل.. فعلينا جميعاً إذا أحببنا أن نأتيه من أبوابه، وإذا وجدنا أحداً يحب أرشدناه إلى الصواب! ولم نكن من الذين ينتقدون دون أن يصححون.

يحكى أن شيخاً قال لطالبه ضع صحيفة واجعل فيها رسمة ثم علقها في مكان يراه جميع الناس، وكتب فيها إذا كان فيها نقص أو عيب فضعوا عليها إشارة! ففعل وفي اليوم التالي جاء إلى صحيفته فوجدها كلها مؤكسة في كل مكان من الرسمة!

ذهب إلى شيخه ثم أخبره بما حدث، فقال له شيخه ارسم الرسمة مرة أخرى ثم علقها واكتب فيها: من وجد فيها خطأ فعليه أن يعدل ما فيها.. ففعل الطالب ما أمر به وفي اليوم التالي جاء إلى صحيفته فإذا هي كما وضعها لم يوضع فيها أي تعديل! فذهب إلى شيخه فحدثه

بذلك فقال له شيخه: هذه علة الناس أنهم ينتقدون ولا يصححون فعلينا أن نعدل قبل أن ننتقد.

آه يا ياسمين ليته كان حقاً ما قلته آنفاً، وأن وصالنا كان في الواقع ولكن كل ما قلته كان خيالاً فأنا إلى الآن لم أكمل جامعتي، ولم أجمع نقوداً لزفافكِ، نعم أنتِ رحلتي عني بعيداً وأنا أشتاق إليكِ ولكني إلى هذه اللحظة لم أصل أبحث عنكِ في كل مكان وأسأل عنكِ الليل، وأعاتب النجم وأسأل القمر فلا أرى إلا خيالكِ وطيفكِ لم يفارق مضجعي.

_____

ضوء القمر

يا ياسمين..
الآن وقد رقَّتْ السحاب وجاءَتْ ظلمة الليل وبدأت النجوم تنظح الطبيعة وتخرج المتاعب التي أعيشها في النهار، فترش بنورٍ من الندى فتتحدر منها قطرات متبلورة تأخذها أمواج اليقظة فتلقي بها في بحر الأحلام التي تبحر فيها سُفنُ قلوب الكبار التي تهيم في الحب، وقد أصيبت بالهجر والبعد وزوارق الأطفال الصغار الذين ربما حرموا من طفولتهم ولم تحقق أحلامهم، وفي هذا الليل تتنفس الطبيعة وتلقي بما فيها من الأكدار وتخرج متاعب النهار وقد انسجمت الزهر في أكمامها وتصافحت الأوراق مع قطرات الندى ومرت النسمات على القلوب تزكِّيها بنسيمها العابق!
وقد رقت صفحة السماء التي بللتها قُبَلُ العاشقين وزفرات المحبين ودموع المفارقين، في هذه الأجواء وفي تلك اللحظات يبدو على رُبَى الطبيعة قمرٌ يستمدُّ ضوءه الذي يلقيه على الأرض من نورك الساطع فأرى ذلك النور يقبل إليَّ بصورتكِ أنتِ يا ياسمين! وبينما أنا في تلك اللحظات إذ يصل ذلك النور ينتشر في جسمي وفي عروقي حتى يصل إلى سويدا القلب فيعطيني قبلة باردة في ذلك المكان تهز جسمي ثم ينسلُّ ذلك النور من جسمي ثم يعود إلى القمر!
عند ذلك أتيقن أن لليقظة أحلام، يا ياسمين عندما أنظر إلى القمر شبيهكِ في الجمال إلا أنه يقتبس النور منكِ!
الله الله ما أجمل هذين القمرين!
قمرٌ في السماء وقمرٌ في الأرض، إلا أن قمر الأرض يفوق قمر السماء بحبه وعشقه..

يا ياسمين عندما أكتب عنكِ فإنني أكون كالرسام إلا أنني لا أصور الشيء الظاهر ولكني أخرج ما في قلبي! وفي كل كلمة أكتبها عنكِ أشاهد فيها صورتكِ، وفي كل مرة أشاهدكِ فيها كأنني لم أراكِ من قبل! فلله ما هذا الجمال إني أراكِ ككلمة رضى تخرج من شفتي حورية مبتسمة.. فما أجمل كلمة الرضى عندما تخرج من مباسم الحسناء.

يا ياسمين تلك النبضة في قلبي لم يقظها إلا أنتِ! سأظل أعزف وأغني حتى تستيقظ تلك النبضة في قلبكِ.. أعلم أنه ربما رآكِ أحد غيري ووصل إليه ذلك النور السحري الذي انطلق من عيناكِ إلى قلبه ففتن بذلك الجمال! لكن أحلامه فيكِ توارت في بحر النسيان ولم يصل إليكِ، أما أنا فقد علمت من أول نظرة تصفحت في خدكِ وتأكدت في عينيكِ وأحسست بدقات قلبكِ أنه يهتف باسمي يا أصدق ضحكاتي ويا أروع همساتي.

_____

ذبحة الروح

يا ياسمين حينما يبسط الليل جنحه يكون فيه سكينة للتاعبين، وخلوة للعابدين، وهيام للعاشقين، وبكاء للمفارقين!
يا ياسمين هناك أشخاص لا تفارقهم الابتسامة فتراه في جميع أحواله مبتسماً! وهناك بعض القلوب تتقطع من داخلها حزناً وشجن ولكنهم يكبتونها بتلك البسمة، فإذا بسط الليل جنحه وسكنت الطبيعة وهدأت الأرواح تخرج القلوب ما فيها فهناك قلوبٌ تبكي فرحاً من لقاء الحبيب، كما أن قلوباً أخرى تتصبب الدموع على خدها شجناً وحزناً،
ولكني هنا سأحدثك قليلاً عن البكاء والدموع..
هناك شيء غريب يا ياسمين يستثير الاستفهام لدى كثير من الناس..
ما حقيقة الدموع؟
إذا كانت للحزن فلماذا يبكي السعيد؟
هناك نظرية قد أشار إليها الكاتب مصطفى الرافعي وأنا أوافقه في ما ذكر : أن دموع الحزن هي ذبحة الروح فإذا كان للجسم دمٌ أحمر فدم الروح هي الدموع!
وهناك نهرٌ أسفل الحلق عندما تذبح الروح يستفيض ذلك النهر من العيون، وهنا سؤال من أين تذبح الروح؟.
أما دموع السعادة فَرُبَّما أن في ذلك النهر الذي يوجد أسفل الحلق عيونٌ تفيض بالدمع عند الشيء المفرح فتسيل على الخدين.
يا ياسمين يمكننا أن نقول أن ذبحة الروح هي شيء معنوي وليس حسي.. نعم يا ياسمين ربما أطنبت في حديثي عن الدموع ولكن كل هذا لتعلمي أنني أبكي عند غيابكِ وبعدكِ حزناً، وسأبكي أيضاً عند وصلكِ وقربكِ فرحاً!

وهذا هو الفرق بين الدمعتين.
يا ياسمين إنني حينما أمكث وحيداً أفكر فيكِ والدموع تتصبب على خدي في تلك اللحظات فكأني أرى نافذة سحرية تطلعني على الجمال الأزلي فأرى صورة جميلة كأنما ألقي فيها الجمال لتكون فتنة لأهل الأرض! يخرج النور من مباسمها تشع كضوء القمر تلك الجميلة التي تتمثل في صورتكِ، تأتي إلي فتمسح الدمعات من خدي بنعومة كفها التي حسبتها ديباجاً من الحرير، لكنني في تلك اللحظات لم أستطع الكلام لأنني كنت في ذهول من ذلك المشهد!
يا ياسمين إن جمال الطبيعة هو شيء مسعد للإنسان وإذا كان الطير حينما يحلق بجناحيه في الهواء فكأنه روح السماء، فإن جمالكِ أنتِ هو روح الأرض إن هذا الجمال الذي ينكرونه بعض الملحدين أحياناً فيقولون أنه ليس أجمل شيء في الحياة لأنه يغضب أحياناً!
فنحن يا ياسمين لا نريد الجمال دائماً مبتسماً وإنما نحب أن يغضب الجمال أحياناً لتتورد الوجنات، وتتطاير شرار العيون وتتقوس الحاجبين، نريد أن نعرف كيف يغضب الجمال فما أحسنكِ حينما تبتسمين وما أحلاكِ عند الغضب، فإن الجميلة إذا عرق خدها من السعادة بدت حبيبات العرق على الخد كالألئ!
وإذا دمعت من الحزن تحدرت الدموع في الخد كحبيبات الرمان، فمن جمالٍ إلى أجمل!
والجمال يظل بحسنه لا يغيره فرح ولا حزن فالعاشق يفتن بالجمال في أي حال.

_____

فاكهة الانتحار

إن تودعني فلست مودعك
إن حبي ساكناً في أضلعك
إن دمعي فوق خدي قد جرى
كيف أمسح يا حبيبي أدمعك
إن تكن فارقت جسمي مرغماً
ففؤادي حيثما كنت معك
وخيالي في سهادك والكرى
حول خدرك لم يفارق مضجعك
ذكرياتي فيك حاشا تنتسى
وحديثي لم يفارق مسمعك

يا ياسمين لا زالت على شفتي كلمات نائمة كنت أرجو أن تصل إليكِ قبل الفراق، ولكنها لم تستيقظ إلا بعد رحيلكِ فهي تصرخ الآن حزينة متحسرة على ما فاتها نادمة!
يا ياسمين لم أكن أبالي أو أعرف أثر قربكِ إلا بعد الفراق تضاعف الحب أضعاف ما كان وازداد شوقي والحنين إليكِ، أتعلمين بماذا عرَّفت الحب لمَّا عشت وحيداً قلت وحدُّ الحب أي تعريفه بعد فراق الأحبة أنه فاكهة الانتحار المشتهاة الذي يتلذذ بها كل مفارق عندما يفارق المحب هواه!
يحب أن يرى نفسه وهو يهلك من ألم النوى وشوق المبعدين ولا يبالي،
يسمونه وفاءً للحب يا جنتي لماذا أخرجوني من نعيمكِ ورموا بي خلف أسورتكـــِ، وأنا لم يسول لي الشيطان ولم أقترب من شجرة

تفاحتكِ التي نُهيت عنها ومع ذلك فهم حكموا بنفيي فأصبحت أتوه كمحطة في الفضاء لا أعلم من أين بدايتي وإلى أين نهايتي! لم أدري ما سبب خروجي من نعيمكِ!؟

نعم أعلم أنكِ ربما تذرفين الدموع دماً على وجنتيكِ الموردتين وتحزنين ويكاد يقتلكِ الأسى على فراق الجنة لساكنها ولكني أقول لكِ بكلمات المفارقين وأنات المحزونين وزفرات المبعدين وحنين العاشقين وآهات المحبين: أن الحب الصادق لا تبقيه أنفس الحاسدين ولا شرارات الحاقدين حتى يجعلوه في حسرة وأنين؛ لأنهم لم يعرفوا صدق العشق لأهله!.

وأخيراً يا ياسمين أقول لكِ أن ببعدكِ عني ازددت قرباً وفراقكِ تحول عشقاً وهجركِ أنشأ حباً، ومهما طال غيابكِ فختامه وصلاً! غيابكِ عني وجود وحباً لنا سيعود، له في الغرام خلود وللوصل حباً لنا سيقود، ورغم الوشاة وأنف الحسود فلا ريب إن صنت كل العهود، ومهما أساءت ظروف الصدود غداً سوف تشرق شمس الوعود.

من ياسمين:

يا حبيبي ما كنت أعرف أشواق المحبين، وصبابة العاشقين، وآلام المفارقين، وما كنتُ أعلم أن القلوب تصبح مملوكةً للمحبين، ومأسورةً لمن عشقت، إلا حينما رأيتك وفُتنت بشخصيتك، وأُصبت بنظرتك، صرت حينها مملوكة عينيك، وأسيرة مُهجتيك، لم أراك إلا مرةً واحدة، ثم نأيت عني إلى المكان الذي أنت فيه، من بعد تلك النظرة خيالك لم يفارقني في صحوتي، وطيفك رفيق منامي، رأيتك في كل شيء، رأيتك في القمر في ظلمة الليل في فلق الصبح، في شروق الشمس، رأيتك في الشفق الأحمر عند الغروب، رأيتُ صوتك في قهوتي، وتذوقتُ لونك في وجبتي، وسمعت بسمتك في ضحكتي, لم أدري ما الذي حل بي، من أول لحظة عشقتك فيها وفتنتُ بحبك، إنني هِمت في هواك، إنني أهوى لقاك، ما أحب قلبي سواك، أرى أنك قدري، فهل عشقتَ في حياتك غيري، لا لا لم تعشق، أنا رأيت ذلك في عينيك، آه، من يحدثني عن حبيبي، يا نسيم الصبى أخبريني، يا طيور السماء حدثيني عن هواهُ لرؤيتي، واخبريهِ أن قلبي هدّهُ طول النوى، ذاب شوقاً للقاء، وحياةً دون حبي في شقى، يا غيوماً طمنيني عن هوائي، واحملي حبي إليه، يا رياح الشوق هُبي، واحمليني في بساطٍ وإليهِ وصليني، كي أرى حلم حياتي وأُريه حالتي في الهوى شوقاً إليهِ، علهُ يزداد شوقاً في لقاء عشيقةً، فعساهُ يأتي إليهِ، لم أزل من أول يوم أهواهُ، إنني مالي سواه، ذبت حباً في هواه، مت شوقاً في لقاهُ، هو حبي لا سواه.
ليتكِ تعلمين يا ياسمين ماذا عملوا وما هم فاعلون حين علموا أني أوراق غصنكِ وحبر قلمكِ وصفحات خطكِ وماء بئركِ، وأنكِ أنتِ الأرض وأنا المطر ورمش عينيكِ وأنتِ السمع وأنا البصر، وأنتِ

النبض وأنا التفكير وأنا العقل وأنتِ التعبير!
وأنني شمسكِ في النهار وبدركِ في المساء آه يا ياسمين لقد جاءوا إلي وزعموا أنهم لي ناصحون وقالوا هيا نرتع ونلعب وأنا لك حافظون فذهبوا بي وهم يتخافتون ولم أكن أعلم أنهم ماكرون!
ذهبوا بي إلى ضيعة تسمى منفى العاشقين ونظروا إلي بعين الحاقدين فألقوني في غيابت جبي المبعدين، ثم عادوا وهم فرحون لم يأتوا إلى أبي عشاء يبكون ولم يخلعوا ثوبي ليكذبون ولم يأتوا إليكِ يعتذرون،بل يتساءلون عني كأنهم لا يعلمون فمن سينقذني من غيابت جبي أو يخرجني من ظلمات المنفى فلا صاحب سيارة سيدلي دلوه ولا عزيز مصر يعلم بي ليشتريني!
نعم هكذا طبع المحبين يعيشون غرباء..

_____

تعانق

ذكراكِ في صدري وقلبي ما نساكِ
وفي مهجتي أشواق تتمنى لقاكِ
يا حبيبة الروح قلبي قد هواكِ
ماله سواكِ محبوبة ولا قد حب سواكِ
أنتِ ملاك الروح محلاكِ من ملاكِ
أسغت لكِ سمعي، وجريت لكِ دمعي
وأضأت لكِ شمعي، لو حاولوا منعي،
ما غيروا طبعي..
وهبت لكِ روحي وقلبي لكِ فداكِ..
بسمتكِ أثارت حرفي،
والغمزة حكمت بالحتف
شوقي زاد إليكِ وشغفي،
لا تحرمي من وصلكِ عطفي،
يكفي صدكِ لي يكفي.

يا ياسمين ..

في ليلة من الليالي بعد صلاة العصر خرجت لأستنشق هواء الطبيعة وأنظر إلى الأرض المجدبة والأغصان الذابلة والأوراق المصفرة، وينابيع الماء الذي كادت تجف فمكثت على تلة مطلة على وادٍ كان مخضراً قد أصبح هشيماً تذروه الرياح، متأملاً حالة هذه الطبيعة فقلت سبحان الله كيف كانت قبل أن تهجرها السحاب وكيف غيرها

الصد والهجر فهكذا حال القلوب المهجوره التي فارقت أحبابها..
فكل شيء يخضر بالوصل وكل حي على الماء.

يا ياسمين..
قلبي متهشم كأشجار هذه الأرض سيخضر بوصالكِ! بينما أنا في تلك اللحظات نظرت إلى السماء فرأيت سحاباً يظلل هذه الطبيعة اشتد شوقاً إلى لقاء من يهوى، وتوالت الغيوم فنظرت إلى الأرض، فرأيتها كحورية حسناء باسمة الثغر متهللة المُحيَّا، تتجهز لوصال خِل بعد غياب طويل!
ترسل كلمات الشوق والحب والفرح مع نسمات الهواء إلى السحاب، متناسية ما أصابها من هجرٍ وبين من شدة الفرح! وبعد قليل إذا بالسحاب ترسل إلى الأرض كلمات السعد والرضى مع رعود تدوي في آفاق الأرض، ثم اقتربت السحاب وبللت الأرض بقبلاتها وسقتها برحيق ثغرها ثم تعانقت الأرض مع السحاب، فأخرجت الأرض زفرات قلبها اشتبشاراً بوصال الحبيب!
فكانت تلك الزفرات هي عواصف الرياح التي توالت من جميع الجهات فكأنها ترتجف فرحاً وخجل!
وتنهد السحاب وهو يعانق الحبيبة وينهد بصواعق تهز الأرض وتسعدها!
ما يقارب أربعين دقيقة ثم ارتفعت السحاب وعادت للسماء وانزاحت الغيوم كما تنزاح الأنات من قلب الإنسان عند اللقاء!
وبقيت الأرض في مكانها مبتسمة ودموع الفرح تجري في جداولها ووديانها قد أطفأت نيران القحط بضمة السحاب وأروت ضمأها من قبلات مباسم السحاب، وسقت حواشيها من سلسبيل المياه التي لثمتها من ثغر حبيبها!

وبعد أيام اعشوشبت الجداول واخضرت الأشجار وتفتقت الأزهار ونضجت الثمار..

يا ياسمين..
هذا حال الطبيعة إذا فارقتها السحاب وهي لم تهجرها زمناً طويل، رغم أن السحاب يأتي في الليل فيصافح الزهر ويقبل الأرض بقطرات الندى التي تتحدر خفية عن عيون الناظرين، فهكذا قلوبنا جميعاً ليس قلبي فقط! فقلبكِ متهشماً وقلبي يزداد شوقاً ليسقي قلبكِ المتهشم!
فلو أنكِ سمحتِ باللقاء كما يزور السحاب الأرض..
نعم أرى أن ذلك قد يصعب تحقيقه لأن زيارة السحاب للأرض تكون ظاهرة للناظرين، ولكن يمكنكِ أن تسمحي بزيارتي لكِ أو زيارتكِ لي خفية كما يزور السحاب الأرض بقطرات الندى ليلا دون أن يعلم أحد!
يا ياسمين
أعلم أن نفسكِ تتوق للقاء فبادري بالوصال.

_____

خطورة الحب

زاد شوقي وأنيني.. واشتد إليكِ حنيني.. أنتِ حياتي وضنيني..
لكِ أيامي وسنيني.. لكِ سطرت فنوني.. وسجعت بأنغام لحوني..
بالوصل فجودي أو فدعيني.. فمتى تطفى نار شجوني!؟
يا ياسمين
رغم علمي بخطورة الحب وصعوبة الوصول إلى المحب، ومع معرفتي بنفسي أنني لم أعرف في هذا الطريق شيء غير أني رأيت كثيراً من
المحبين تعثروا وغرقوا وتواروا في بحور النسيان، وتلاطمت بهم أمواج العشق الخطيرة التي جهلوها وتناثروا مع حبيبات هبوب الرياح المتطايرة!
وتهاوت قلوبهم واندثرت فأصبحت كالأطلال التي عبثت بجدرانها صروف الزمان!
يا ياسمين ليس كل من أحب وصل، ولا كل من عرف الحب أحب، وليس كل من سبح في بحر الحب نجى!
فكثير من المحبين هلكوا في وسط الطريق إن لم يهلكوا في بدايتها، ومع علمي بهذا ومعرفتي بخطورة هذا الطريق إلا أنني خضت في غمار حبكِ،
وغصت في بحر غرامكِ ولم أرى ذلك خطراً على نفسي؛ لأن ثقتي الكبيرة تطمئن قلبي وتؤكد له بالوصول إليكِ!
يا ياسمين نعم أنا أحبكِ! لأنني قتيل عينيكِ وأسير خديكِ، واشتد ظمأي إلى خمر شفتيكِ!

يزداد شوقي إلى روضة نهديكِ، أشكو حالتي منكِ إليكِ، سآتي إليكِ، سآتي إليكِ.
وبعد فراق طويل قيل لي كيف لو جاءت، وبعد الهجر وصلت وعن طول غيابها اعتذرت، فكيف سيكون شعوري وما هي اجابتي؟!..

(لو جاءت معتذرة)
قيل لي ماذا لو جاءت معتذرة؟
قلت برأيك ماذا تظنني فاعل وقد هجرتني بعد ما وصلتني ونأت عني بعدما كانت قريبة مني، وأحيت قلباً كان ميتاً في الحب!
ماذا سأفعل وهي تركتني بعدما كنا روحين في جسد واحد، كنت لا أسمع إلا بعينيها، وهي لا ترى إلا بأُذني كنت لا أفكر إلا بقلبها، ونبضها لا يدق إلا بعقلي، ماذا وقد كانت روضتي وكنت حديقتها تطعمني بضحكتها وأسقيها ببسمتي!
كنت قمرها وكانت شمسي، أتنفس بكلامها وتخرج زفراتها بحديثي، شربت منها حتى ارتوت وسقيتها حتى ارتويت!
تهادينا نسيم الصباح وتساقينا كؤوس المساء وبنينا من الهواء عرشاً للحب وعليه تربعنا!
خُلقتْ هوىً لي وأنا خُلقت هوىً لها، اقتطفنا كؤوس الوصل وارتشفنا ثمار اللقاء!
اقتربت منها فضمتني ودنت مني فحضنتها،
لنا ذكريات خالدات ونسمات لا تنسى!
ثم بعد ذلك هجرتني ولا أدري لماذا؟ ونأت عني ولم أعلم بذنبي وابتعدت عني بلا سبب!
هدمت ما بنت وسقتني حلو النوى تركت قلبي حتى صار أطلالاً هدمته يد الفراق وعبث به طول النوى!

ونسيت موطنها الذي عاشت فيه وشيدته خصيصاً لها والآن تسألني ماذا لو جاءت معتذرة!؟
طبعاً وبلا شك أنها لو عادت وأحيتني من سباتي ولملمت شتاتي ماذا سأفعل؟ آه لو تعلم سأفجر الصخور عيون ماء من فرحتي وسأنطق الأغصان وأضاحك الطيور، سأكحل عين الشمس وأُجَّمل وجه القمر نشوة بوصولها! سأجعل الأرض تكتسي حلتها القشيبة، وسأنظم النجوم عقوداً على جيدها سأقبلها في كل مفصل وسأسجد شاكراً لله.
-نعم قد فعلت ما فعلت ولكن أن يعود القلب كما كان، خيراً له من أن يظل مهدماً- وسأنطق قائلاً لها ونشوت الفرح تغمرني ودمعة السرور تغرقني كما قال يوسف: لا تثريب عليكِ اليوم، قد غفرت لكِ عما كان!
ليتها تعود لأنها ملكة قلبي وموطنه ولو طفت مشارق الأرض ومغاربها ما وجدت من يملكه بعدها، إلا إذا رجعت لكنها لا تطيق الرجوع؛ لأنها تعلم فداحة ما فعلت، فبأي صدرٍ ستلقاني وبأي وجه ستأتيني، وبأي قلب ستحدثني وبأي لسان ستنبض لأجلي! بأي نَفَسٍ ستنطق معتذرة وبأي بسمة سأدمع فَرِحاً باللقاء!
هي لم تسعد في حياتها بعد حبي وأنا لم أرى لي بديلة بعد أن عشقتها!
نعم هي نادمة على مفارقتي وتعرف أحسن ما فعلت لكن يصعب عليها الرجوع!
من سيخبرها أنها لو جاءت مفتتحة قلبي بوصلها وشفته بودها أن ردة فعلي ستكون طيبة وسأقول لذنوبها وزفرات تألمي قد عفوت عنكم إذهبوا فأنتم الطلقاء! وسأختارها نصفي الموجود وشريك حياتي الذي أتاني وسأكون عمراً لها وهي ستكون حياتي!

ماذا لو جاءت معتذرة..

ذبلت ورود الحب من فرط النوى
وذوت غصون الحب من حر الجوى
وتحطم العرش الذي شيدتهِ
في القلب ثم هجرته حتى هوى
نيران شوقي في الجوانح اظرمت
فالقلب منها قد تسعر واكتوى.

_____

فارس الأحلام

ما كل من عرف الكتابة قد أحب
أو كل من ذاق المحبة قد كتب
فالحب صدق في الشعور يذوقه
من فارق المحبوب أو عنه اغترب
والوصل فرض في المحبة شرعة
وصل الحبيب على الحبيبة قد وجب.

يا ياسمين لقد طال الغياب، واشتد الألم، وزاد النحيب، شحب وجهي، ورق كاحلي، وضعف جسمي، وضاق صدري، وبان شيبي، وجفّ دمعي،
وأنا ما زلت في الانتظار ملتزماً بالعهد، فمتى تفي بالوعد؟

يا ياسمين؟
ألم يضيق صدركِ من طول الغياب، ولم ينفذ صبركِ وتذوقي مرّ العذاب، ألم تحترقي جوىً واكتئاب، وتذوبي شوقاً ولوعة إلى الأحباب؟!
أريد منكِ الجواب، إذا وصلكِ الكتاب، لقد أرسلت إليكِ العتاب!
يا ياسمين إن الله عز وجل خلق كل ذو نفس نصفاً لا يكتمل إلا بالنصف الآخر، فأنتِ نصفي المفقود، الذي أبحث عنه في كل الوجود، أراكِ في بزوغ الشمش ولا أستطيع الوصول إليكِ، وأشاهدكِ في طلوع البدر ولا أستطيع ضمكِ أو عناقكِ، وأسمع صوتكِ في هديل الحمام ولا أستطيع إيصال ما في القلب من الغرام!
أرى جمالكِ في كل شيء جميل، وأسمعكِ في كل صوت رخيم،

تعرضت لي كل الجميلات، وترجو وصالي كل الحسينات، وتهوى عناقي كل الغانيات، رأيت بعيني كل ذلك الجمال الذي تفتن به كل القلوب، ولكن لماذا قلبي لا يرى إلا جمالكِ،
ولا يفتن إلا بحسنكِ، ولا يهوى إلا عناقكِ،
فهل أنتِ حقاً ملكتِ قلبي؟
أم أخذته وتركتِ في صدري قلبكِ فهو ينبض باسمكِ، ويسري في عروقي بنسيم عطركِ، ولا يجعلني ألفظ إلا بذكركِ!
فأي حب هذا الذي أنا عرفته، وأي عشق هذا الذي عهدته، وأي خِل أنتِ هذا الذي عشقته، حب غريب، أرى أنه لا يسلب كل القلوب، إلا أنا صرت حقاً فيكِ مسلوب، ألا تهويني لكِ محبوب، لقد صبرت في جفاكِ كصبر أيوب، واصطفيتكِ لي محبوبة، وفي فؤادي أنتِ دوماً مرغوبة،
إن كنتِ في ريب فثقِ في حبي، أو كنتِ خائفة فأمانكِ في قربي،
نعم أنتِ عاشقة لي ومكانكِ في قلبي!
يا ياسمين قيل لي أن الحب للشجعان وأنا أحببتكِ أنتِ فهل أنتِ مثلي!؟
إذا ما همني في وصلكِ عذلي،
أنتِ ما همكِ عذلٌ في وصلي!
حلمي أنتِ وأمنيتي، وأنا فارس أحلامكِ.

لوعة فراق

ليست المحبة في العناق،
أو كل حلوٍ في المذاق!
إن المحبة اشتياق،
تبلى بها عند الفراق!
فالوصل بعد الهجر جنة عاشقٍ،
والهجر بعد الوصل غمٌ واحتراق!

يا ياسمين لم يعرف الحب من لم يذق الفراق، سوف أعترف لكِ:
يا ياسمين إن فراقنا يبدو شيئاً جميلاً؛ لأننا استطعنا فيه أن نخلد المشاعر الصادقة، ونكتب أحاسيس القلوب، لولا الفراق لما كتبنا السطور، وخلدنا الشعور، فيه سطرنا طهارة الحب للعاشقين، ونزاهة القرب للواصلين، وبيان الحب للقارئين، وأنين الصدّ للمفارقين، ليس أنا وأنتِ من فرَّقتنا الأيام فحسب، فهناك الكثير من العشاق، ذاقوا مرارة الفراق، تأملي معي قليلاً إلى إخواننا في فلسطين، لقد ذاقوا العناء وباتوا مشردين، لقد عبثوا بهم المحتلون، فكم من عشيق فارق حبيبته، وعشيقة فارقت محبوبها، ووالد أسر ولده، وأم قتل طفلها، أليس هذا حب! ومولود قتلت أمه، وطفلٌ اشتشهد أباه، أليس هذا حب!
نعم يا ياسمين إن من قتلت حبيبته، أو مات طفله، أو أُسر أخاه، أو جرح أباه، وأصيبت أمه، فقد ذاق مرارة الفراق!
وعانى ألم الوحدة، وغياب الأحباب!

فكم من طفلٍ يهوى لثمة من ثدي أمه، وشابّ يشتاق نظرة لأبيه، وأخ ذاب وجداً لضمة أخته وأخيه، وعشيقة اشتاقت عشيقها، ومحب يهوى عناق حبيبته، ذاقوا عناء الفراق، ولكن لم يتاح لهم المجال ليكتبوا، ولم يجدوا فرصة للتعبير، ولو كتب كل مفارق عن أحبابه لنفذت الأوراق وجفت الأقلام!

إن الدفاع عن الأرض حب، وسلبها من أحبابها فراق! فتحية للمجاهدين، ورفعة للمستشهدين، ورحمة للمفارقين، وصبراً للصامدين!

وجبر الله قلوب المفارقين، وجمع شمل المحبين.

طهارة الحب

للحب في بحر الهوى آداب
ومبادئ يسموا بها الأحباب
وقواعد للعاشقين تأسست
من حاد عنها خائن كذاب
فالحب يسموا بالنزاهة والوفى
فهو اشتياق في الهوى وعتاب يا ياسمين: لقد أحببتكِ وهمت شوقاً، وذبت عشقاً، وزدت وجداً واصطفيتكِ خلاً، وقطعت معكِ عهداً، فتنت بهذا الجمال، وأذهلني حسنكِ والدلال، ورأيت فيكِ أرقى الخصال، فكل ما أهواه منكِ هو الوصال، ومع هذا الحب كله والشوق والغرام، إعلمي يا ياسمين أني ما تركت مبادئي الشريفة، وما تركت أخلاقي الحميدة، ولم أبع ديني لأجل حبكِ، نعم إنني أحبكِ، لكن لن تغويني بالشهوات، ولن تغريني بالملذات، أنا لم أزل كما عرفتني أول مرة، لم أخالف شيئاً من مبادئي الذي تربيت عليها! نعم أنا لم أنسَ ذكركِ، ولن أترك حبكِ، مهما طال هجركِ، مكانكِ في القلب ولكن اعلمي أنها لو فرقتنا الأيام، ولم نحقق الأحلام، وسار كل منا في طريقه، إن حبكِ سيظل في قلبي، ولكنني لن أموت حزناً من فراقكِ، ولن يطير عقلي فأصير مجنوناً من جفاكِ، إنني سأعيش حياتي، وسأختار شريكة حياتي من بعدكِ، وسأجعلها تتمتع بالحب الذي كان ينبغي أن يكون لكِ، سأحبها ولن أنساكِ، وأحضنها وأذكر ضمتكِ، وأشتم عطرها وأشتاق لرائحتكِ، سأجعلها تراني سعيداً بحبها، ومفتون بحسنها، وكأنها أول حبيبة عرفتها، ولن تشعر بحبي الدفين لكِ.

هكذا يا ياسمين لا تصدقين الذين يتشدقون باسم الحب، وتقول ألسنتهم الكذب، فيقولون لحبيباتهم أنهم سيموتوا إذا افترقوا،

أو سيتيهوا إذا ابتعدوا.
لا يا ياسمين لقد كذبوا، إن الحب يبقى في القلوب، لكن لا أحد يموت من فراق الحب، أو ألم النوى، ومن تاه أو مات من فراق الحبيب، فهذا لخفةِ عقله، وقلة فهمه، وعظم جهله،
ليس لإخلاصه في محبته!
ولو كان كل مفارق يموت، أو يصيبه الجنون لمات نصف العالم، وتاه النصف الآخر.
هكذا يا ياسمين أحببت أن أكون صادقاً معكِ، مع ما تعرفينه من إخلاصي وحبي لكِ، فإن تلاقينا
تحقق حلمنا، واعتنقنا وارتشفنا، وذهبنا إلى روضة ليس فيها إلا أنا وأنتِ!
وقضينا أعمارنا حباً وعناق،
وإن افترقنا رضينا بما قدر لنا، ومضينا في حياتنا، وسوف نجعل حبنا قصة تحكى، وحكاية تروى، لأبنائنا من بعدنا والأحفاد!
تلك القصة الحزينة التي ستخلد في قلوبنا وسوف تأثر في قلوب من بعدنا.
هكذا هو الحب يا حبيبتي...

_____

الحب الرفيع

صدق المحبة بالوفاء يكون
عند الظروف إلى الوصال تحين
فالحب شوق في القلوب ولوعة
ولواعج ومدامع وشجون
من ذاق حباً يرتجي وصلاً له
إن الغرام صبابة وحنين.

يا ياسمين. قيل أن الهوى هوانُ، والمحبة ضياع، والغرام هلاك، والشوق محنة، والصبابة فتنة، والفراق عذاب، نعم ولكن متى يكون ذلك؟
أنا أقول أن ليس كل الهوى هوان، ولا كل الحب ضياع!
أنا أوافق في أن الهوى يكون هوان إذا خولفت قوانينه!
والمحبة تكون ضياع إذا هدمت قواعدها،
وانتهكت محارمها!
والشوق محنة تكون في الهجر بعد الوصل، والغرام هلاك إذا تجاوز الحب حد الحلال إلى الحرام، والفراق يكون عذاباً إذا ضعف الإيمان بالقدر!
إن خِفَّة العقل، وقلة التفكير، وضعف الشخصية، وركاكة القلب، وقِلَّة البصيرة، وعدم التوكل!
هذه الخصال التي تجعل الحب عند المحبين هوان، ولو كان الحب كما يقولون لما أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة، وكان يذكرها بعد موتها، لكنه أحب زوجاته من بعدها، وعاش معهن،

وتمتعن بحبه عليه الصلاة والسلام، وأحب علي كرم الله وجهه فاطمة ابنة محمد عليه الصلاة والسلام وهكذا كل الصحابة، أحبوا، وفارقوا، واشتاقوا، ووصلوا، وعرفوا الهوى!لكن لا أعلم أن أحداً رضي بالنكوص لأجل حبيبته، أو مات لفراق معشوقته، أو تراجع عن دينه، استجابة لرغبته، لا!

لأنهم علموا أنك إذا فارقت حبيبتك الفاتنة واخترت الإسلام وأعليت حب ربك ونبيك أبدلك الله بخير منها، هكذا هو الحب يا ياسمين، فأنا أحبكِ، لكن ما تنازلت عن شرفي، وأهواكِ لكن عزتي فوق كل شيء، وكرامتي هي أغلى من كل حبيبة، لا يعرف معنى الحب، وواقع الهوى، وحرارة الشوق، وحقيقة الفراق، إلا أصحاب العقول العبقرية، والأفكار العميقة، والنفوس الرفيعة، والشخصيات القوية، والقلوب الثابتة، أصحاب الإيمان الراسخ، والدين القويم،

نعم يا ياسمين، إن للحب قوانينه التي لا تغير، وقواعده التي لا تخالف.

_____

مصير الحب

يا مذهب الخد إن القلب في ولهٍ
شوقاً إليك متى بالوصل تحييهِ
يا أحور العين إن الروح في سقم
وأنت بلسمه أنَّى تداويهِ
والخل في وحشة يمسي بوحدته
من ذا يؤنسه أم من يواسيهِ
ونار حبك في الأحشاء تحرقه
فليت بالوصل يا محبوب تطفيه

يا ياسمين، بعثرتني رياح الشوق، فمتى بالوصل تجمعيني، وحطمتني تباريح الجوى، فمن سواكِ يلملمني، سأشد رحلي إليكِ، وسأسرج أبياتي نحوكِ، وأمتطي شعري إليكِ، وأحمل مقالاتي زاداً لأشواقي إليكِ، حتى أصل إلى مكانكِ، وأنظر إليكِ وأنتِ في خدركِ، نعم أنا أهوى ضمة منكِ، لكن ستشفيني رؤيتكِ، وأشتاق رشفة من رضاب ثغركِ المعسول، ولكن ستشبعني بسمتكِ، وأرجوا قبلة في وجنتكِ، ولكني أكتفي بهمستكِ، سأنظر إليكِ من بعيد، لا لن أقترب، ولن تشعري بمجيئي إليكِ، فإذا اطمأنت روحي، وارتاحت نفسي، وشبع قلبي، وانطفأت نيران شوقي، عدت إلى كوخي الذي أنا فيه، دون أن تعلمي، ثم أنتظر، هل ستأتي إلي مشتاقة لرؤيتي، ومحبة لوصلي، وعاشقة مثلي!
سأنتظر وقتاً كبيراً من الزمن، وسوف أسأل عنكِ نسمات الهوى

الباردة، وقطرات الندى البلُّوريّة، سأفتش الأعذار لأسألها، هل لديكِ عذراً يمنعكِ من وصلي؟!

سأرسل دقات قلبي، وزفرااات روحي إلى قلبكِ، فتسأله عن حبكِ، فإذا عادت بغير جواب، علمت أنكِ قد هزأتي بحبي، واستهنتي بقلبي، وتيقنت أنكِ لن تحبي قربي، عندها سأقدم دعوتي على حبي لكِ، إلى سلطان الهوى، سوف أشكو حالتي، وسأثبت حجتي، حتى أُلقيَ بحبي في سجن الهوى، وكلما حُكمَ ببراءته سأطعن في الحكم وأستأنف، حتى يقضى عليه بالإعدام، سأخبر الجلاَّد وأرتجيه أن يجعل تنفيذ الحكم على يدي، وفي اليوم المحدد الذي يقرره القاضي، حيث تجتع نفوس كل العاشقين، وقلوب المحبين، وأرواح المفارقين، وتنصب مشنقة الموت في ميدان حكم الحب للماكرين، سأخرج حبي من ذلك السجن المظلم، ثم آمر قلبي لوضعه في المشنقة، لن أتراجع وإن كانت لنا ذكريات، فإذا سقط رأس حبي تشفَّيت، وجعلته عبرة للعاشقين، وموعظة للمحبين، وشفاءً للمفارقين، لن أرضى بالدِّية ولو عُرضت لي قلوب كل المحبين!
ثم أرجع وأفتش عن ذكرياتي لأجعلها فريسة للتائهين، وأجمع رسائلي لأطعمها نيران كل المفارقين، ثم بعد ذلك أبدأ حياتي كولادة جديدة، بعيداً عن الحب الزائف.

يا ياسمين، إنني لا أظن فيكِ كل ما سبق، فأنتِ تلك العفيفية، الوفية، المحبة، الثابتة، أنتِ الوافية في العهود، وأنتِ الصادقة في الوعود، طهارة الحب في قلبكِ، وصفاؤه في روحكِ، وبراءته في خدكِ، ونقاوته في مقلتيكِ، وصدق الحب في شفتيكِ، فيكِ كل ثقتي، ولكِ كل محبتي، ولكن يا ياسمين اعلمي أنه ليس كل النساء كطهارتكِ، فهناك كثير من النساء تلعبن بالمشاعر، وتستهين بالقلوب، وتقتلن

الأرواح بحبها الزائف، وغدرها الماكر، ولهذا فقد قال: سيد الحب، ومتمم الأخلاق، والمخرج من الظلمات إلى النور بإذن الله، أن كثيرٌ من النساء فتنة، فيقول عليه الصلاة والسلام، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، صدق عليه الصلاة والسلام،

إن كثيراً من القلوب أصبحت ضحايا تائهة، مشرَّدة قتلى لذلك الحب الغادر، وهناك كثيرٌ من الرجال الغادرين الماكرين، الذين يلعبون بمشاعر الفتيات، فيصرن ضحايا لحب الجبناء الغادرين بقلوبهن، هكذا حال كثيرٍ من المحبين، ومصير كثير من العاشقين، لا يعرفون حباً، ولا يقدِّرون عشقاً، ولا يراعون قلباً، وليس لهم منهجاً ولا دِين.

زينة الجمال

قولي أحبك بل أهواك يا قدري
يا ضوء شمسي ويا بدري ويا قمري
إليك وحدك أشدوا لا إلى أحد
وكم عزفت لك الأنغام في وتري
وبتُّ ليلي أشكو الهجر ساهرة
وحدي أناجي طيوف الوصل في سحري.

يا يـاســـــــــــمين،
إن الحياء يزيد الحُسن جمالاً، فالفتاة زينة جمالها هو الخفر والحياء، وملازمة خدرها، ليست الجميلة أو الحسينة تلك التي تنزع الحياء من جمالها، وتقضي وقتها في الطرقات، أو متنقلة من مكانٍ إلى مكان، وتحب أن تكون ثرثارة في الكلام، ولا تعرف معنىً للاحترام، تُنزِّل من رفعتها فيضيع قدرها، وتُسهل في شرفها فينتهي ذكرها!
وتتلاعب بحبها، فيتحطم قلبها.

يا يــاســـــمين، ما أجمل أن أسمع من شفتيكِ تلك الكلمة التي تخرج ممزوجة بالحياء، معطرة بالوفاء، لا تُكثرين من ترددها، وأنا لا أمل من سماعها،
إنها تلك الكلمة التي تتكون وغدرهلن أحرف، فمن شفتيكِ أرى كل حرفٍ كتاب...
فما أجمل تلك الكلمة حينما تمتزج بالحياء،

إنها قولكِ لي ((أحبـــــــــك))
وما أشهى تلك النظرة التي تنسلُّ من مقلتيكِ، وتختفي حين أنظر إليكِ!
أصادفها أحياناً وأنتِ تظنين أنني لا أعلم.
وما أحلى تلك القبلة، التي تُرسلُ مع الهوى إلى قلبي، نعم هذا هو الحب العفيف، والعشق الشريف، والخُلُق الظريف، والهواء اللطيف، هذا هو ما يجعلني أزداد عشقاً في حبكِ، وأهيم شوقاً إلى وصلكِ،
فليت كل الجميلات يزيِّنَّ بالحياء جمالهن ليزدنَ حُسناً، فهذا هو الحب الأصيل.
يـا ياســـــــــمين، إنني أشتعل ناراً إذا نظر إليكِ أحدٌ غيري، وأموت كمداً إذا تحدث معكِ شخصاً سواي، إذا كنتُ يا ياسمين أغار عليكِ منكِ، فكيف لا أغار عليكِ من غيري!
وما أراه فيكِ من الخُلُق الرفيع، والشرف العالي، والحياء العفيف، والجمال البديع، هو الذي يجعلني أغار عليكِ، وأثق فيكِ، وأتيقن من صدق حبكِ، ووفاء عهدكِ، فكوني كذلك وعيشي كذلك.

طريق الحب

يا ياسمين، إن الايمان هو أصل الحب، والعفة هي جوهرة العشق، والنزاهة هي جمال الغرام، والكرامة
هي زينة الاشتياق، فمن أعرض عن خصلة منها كان محتقراً في حبه، مهاناً في عشقه، ويخشى من سوء عاقبته، وخاتمة غرامه.
يا ياسمين، لماذا أكتب عنكِ كثيراً حتى أن القارئ يظن أنني لو رأيتكِ لأسرعت لعناقكِ دون أن أخجل من أحد!
ولكني عندما ألتقي بكِ لا أتكلم إلا قليلاً، ويغمرني بلقياكِ الخجل، إن خصال الحب الرفيعة هي التي تجعلني أذوب خجلاً، ولا أتكلم كثيراً معكِ خوفاً أن يطير قلبي من فمي إليكِ، فأرجع بغير قلب؛ لأنني أعلم أن قلبي إذا خرج إليكِ سيظل معتنقاً لكِ، وأسير عينيكِ، وثملاً من لمى شفتيكِ، ومغرماً بقبلات خديكِ، متنعماً بروضة صدركِ، لن يعود إليَّ حتى وإن ناديته يا قلبي تعال وعد حيث ما كنت فإنني سأرجع، لأشار إليّ أن ارجع إلا مكانك فإنني لن أعود!
ومن بعدها سأصير جسماً بلا روح، وصدراً بلا نبض، وستنعم بالوصال، وتهنأ بالعناق، وأنا وحيداً أتيه في ما لا نهاية.
يا ياسمين، كم قبلي من المحبين سلبت قلوبهم، وألقيَ بهم في غيابةِ جب المبعدين، وعصفت بهم ريح العشق الممكور، وتقاذفت بهم أمواج الخيانة، حتى ماتوا وهم أحياء، وعاشوا وهم موتى، لأنهم أعرضوا عن طريق الحب المستوية، فذاقوا سوء العاقبة!
أما أنا يا ياسمين، إذا كان جمالكِ كحسن زليخة فإن طهارتي كنزاهة يوسف عليه السلام، حتى وإن راودني قلبي، وقطعتي أصابعكِ لحسني، فالسجن أحب لقلبي من أن أتنازل أو أترك أو أعرض عن طريق الحب الشريفة، وإن اشتدّ شوقي إليكِ فإن قدوتي في الصبر

أيوب عليه السلام، وإن أُبعدت عني كهاجر أم اسماعيل عليهما السلام فإن قلبي كإبراهيم عليه السلام!
وإن حاول إبليس أو نفسي بإغوائي وأن أدع أخلاقي وأدنس كرامتي، اعتبرت، واتعظت، بما فعله إبليس بأبي آدم عليه السلام، وعلمت أن قدوتي وإمامي ونبيي، هو خاتم الانبياء والمرسلين محمد عليه الصلاة والسلام، هذا هو الحب عندي يا ياسمين، ولا أدري ما هو الحب عند الآخرين، نعم أراكِ في فلق الصبح، وفي شروق الشمس، وأراكِ عند حمرة الشفق، وعند طلعة البدر، وأراكِ في منامي، أرى الاغصان في قدكِ، والازهار في خدكِ، والاحلام في عينكِ، وكل العذب في ثغركِ، وروضات الجنان في صدركِ، وأشم الطيب كله في انفاسكِ، ونغمات الطيور في همساتكِ، حتى قطرات الندى الباردة أحسبها قبلاتكِ، ولكني لم أخالف طريقي، وما أعرضت عن منهجي، ذبلت ورود محبتي من النوى، وذوت ازهارهُ من نيران الجوى، وحرمت نومي، واشتقت للوصال، ولكني محتكم لقدري، ومرتضياً بنصيبي، والله خير وأبقى، وأحب وأنقى، وأعلى وأرقى، عليه توكلي، وبه اعتمادي، فإن اذنبتُ استغفرته وسألته، وان اخطأت خضعت بين يديه وخشعت له، ولن يوجل قلبي إلا من خشيته، ولا أخاف أحدًا سواه، ولا أذل لغيره، ولا أبدي حاجتي وأظهر فقري إلا إليه!
إذا أذنبت استغفرته، وإذا تبتُ قبلني، وإذا سألته أعطاني، وإذا دعوته أجابني، هو القريب وكل ما سواه بعيد، وهو الحبيب وحاشا أن يفوق حبه أي حبيب.
يا ياسمين، أحببتكِ لطهارتكِ وصفاء قلبكِ، ويقين إيمانكِ، وصدق وفائكِ، لنكون أنا وأنتِ حبيبين في الله، وعشيقين في الدين، نتعانق بالحلال، ونشتاق للوصال، ونجتنب الحرام، ونهتدي بهدي الاسلام،

ونأتي الحب من أبوابه، فإن التقينا سعدنا، وإن افترقنا صبرنا، لأننا عرفنا الحب وأصوله الشريفة.

مائدة الوفاء

يا ياسمين، يا أحلى الجميلات، وأغلى الغاليات، وأجمل الحسينات، يا من
يغيب البدر إذا سطعت، وتختفي الشمس إذا أشرقت،
ويسضيء الكون إذا أسفرت،
ويستنير الفضاء إذا ابتسمت، وتعبق
الأرض طيبًا إذا تنفست،
وتخرس الطيور إذا ترنمت، وتسكت الفصحاءُ إذا تحدثت!
تذيب القلوب إذا بلحظها رنت، وتغير الغصون إذا تثنت، وتنطق الصخور إذا خطرت، هي بين الغواني كالبدر وسط النجوم الشمس تجري في محياها، وحمرةالشفق من وجناتها، ولون الوردِ من مباسمها، وظلمت الليل في
غدائرها، ونعومة الديباج من خدها!
عريقة الأصل نزيهةالنفس،
رفيعة القدر طيبة القلب،
خجولة الروحِ رزينة العقل، عميقة الفكر فصيحة النطق، صدوقةً في القول!
هي جوهر الجمال، ومنبت الاخلاق، ومنبع الحياء.
يا ياسمين لماذا كلما حاولتُ كرهكِ همت حباً، وكلما نويت الابتعاد ازددت قربًا، وإذا عزمت على النسيان سهرت فيكِ صبابة وشوقًا، وإذا حاولت أن اعشق بديلة عنكِ ذبت نحوكِ لوعة وعشقًا!
خيالكِ لم يفارق ذاكرتي في
صحوي، وطيفكِ لم يغادر من منامي، جسمكِ فارقني ووصلني

قلبكِ، ونأيكِ أوحشني وأنستني ذكرياتكِ، وبعدكِ أحزنني وأسعدتني همساتكِ، سهرت إذا ذكرت الفراق
ونمت إذا تذكرت لمساتكِ!
يا ياسمين
هل مثلكِ كل الحبيبات لا يعرفن
الزعل، ولا يعهدن الغضب؟ لا أظن!
لقد كنت إذا غضبتُ عليها تقول
وهي مبتسمة: هكذا هو الحب،
ما أجمله حين يتضاعف!
وإذا رفعت صوتي قالت: تسلم يا حبيبي هكذا
حين يتجدد الحب!
وإذا سكت عن الكلام معها تقول والسرور يغمرها:
إن سكوت الحبيب يكون تفكيراً
لمفاجأت الحبيبة بشيء جميل!
فكيف يغضب العشيق على حبيبته لا أعلم!
وكيف يفترقان
وهم متباغضون لا أدري!
وكم عشقتكِ وقبلكِ من العشيقات، وكم سبقكِ من الحبيبات، ولم أفارق حتى مرة واحدة حبيبة، ولن تنأ عني عشيقةً إلا لظروف ارغمتنا على الفراق، وكذلك قدرنا الذي كان سبب في ذلك، فأودعها وهي تذرف الدمع على خدي، ونشرب علمق الفراق
ونمحوا ذكرياتنا بأنات الحزن، ونغمرها في دموع الوداع، ثم نحرقها بحر الآم القلوب، وننثر حطامها في رياح النسيان، ثم نأكل حلو العفة، ونشرب من شهد النزاهة،
وتنبض قلوبنا بروح الايمان، ونستاقَ كؤوس العزيمة، ثم نكون بعد ذلك أصدقاء يقدر كل واحد منا صديقه!

ولم أفارق حتى مرة واحدة حبيبة وهي تبغضني أو أكرهها، والآن يا ياسمين إنني ما زلت في حبكِ فإذا قدر لنا اللقاء وسعدنا به وتعانقنا، وعشقنا، وإذا خالفنا قدرنا وحرمنا الوصل، سنحضر مائدة الوفاء ثم نأكلها لنصير بعد ذلك أصدقاء، فالحب يكون ختامه لقاء أو صداقة.

_____

خاتمة الحب

يا يا سمين، لستِ أول الحبيبات، ولكنكِ آخر العشيقات، إذا قدر لنا الوصل، وكل حبيبة فارقتها وقلبي يتقطع حزناً وأساً، ولكني كنت أخفي ذلك، وأظهر البسمات على شفتي، أودعها وهي تذرف الدموع على خدي، ولكني أخفي مدامعي، وأمسح مدامعها، ثم أعود وأجمع الذكريات، وأقطعها كلمة كلمه، ثم أقف على ذلك الشاطئ وأضعها على كفي وأقول لأمواج الريح، الذي تعصف بذكريات المفارقين، أيتها الريح! إن هذه كلمات الحب المذبوحة، خذيها وبعثريها، لكي لا تلتقي كلمة بالأخرى؛ لأن الكلمات إذا التقت ستعتنق ببعضها، حتى تحرق قلوب المفارقين!

يا ياسمين لماذا أفعل ذلك!

وما الذي يكلفني لهذا الفعل الذي أفعله رغماً عن إرادتي؟

لأنني أحب أن تحيا حبيبتي المفارقة حياتها مع حبيبها الذي قدّر لها، بسعادة على حطام قلبي، وأنات أحزاني، وتجلد صبري، وأن ترمي بحبي في بحر النسيان، وتحيا عيشة رغيدة.

يا ياسمين، إن أول حبيبة عشقتها، كانت قد سبقتي هيَ في حبها لي، حتى اخترتها حبيبة، تحقق حلمها الذي كانت ترنو إليه، فمرت بنا الأيام، ونحن نتيه في حبنا، إلا أنه كان عن بعيد، كمثل حبكِ.

يا ياسمين، كنت أنظر إليها من بعيد، وأرسل لها قبلات الحب مع الهوى النقي، فتصلني بسماتها مع عودة الهوى الذي أرسلته إليها، ولم أتحدث معها إلا قليل أو في الرسائل التي يحملها إلينا طائر الاشجان، وكنا نأمل بالوصل، ونحلم باللقاء، ونهوى العناق، ولم يعلم أحد بسر حبنا الدفين في أعماقنا، كنت أراها نصيبي وكأني قد ملكتها، وهي كذلك، وبعد عامين في حبنا وأنا ما استطعت أن أحقق

ما كنا نحلم به، ولا أظهر ذلك لأهلي وأهلها، واشتياقي لوصلها، فتقدم لها أعز أصدقائي في ذلك الوقت فما استطعت أن أكسر رغبة صديقي، أو أحرم حبيبتي من الحياة التي ما استطعت تحقيقها لها، رغم أنها جائت إليّ باكية حزينة مكسورة القلب، تقول لي أنت حبي لا سواك، فكتمت أحزاني، وحبست مدامعي، وقيدت قلبي بأغلال الألم، خوفاً أن ينسلح مني إليها، ومسحت دمعتها، وقلت لها:
لقد أبدلك الله خيرٌ مني، وحباكِ سعادة عجزت أنا عنها، ثم جعلت أمدح لها صديقي، وأُذم في نفسي، فعادت إلى منزلها وهي غير راضية عني، ولكني كنت أرسل إليها صديقاتها، وأوصيهم بمدح صديقي عندها وتعظيمه، وتكبيره في عينها، وأن يذموني، ويعيبوا فيني، وأن يبتدعوا لها صفاتًا ذميمة عني، وحميدةً عن صديقي، حتى تنسى حبي أو تتناسا، وتقتنع بحبيبها وزوجها المستقبلي.
وبعد أن أحضرنا مائدة الوفاء التي تحدثت عنها سابقاً، كنا أصدقاء، وأحببت أخرى ثانية، فمرت بنا أعوام، ولكن أهلها غالوا في الأمر، وأكثروا من الشروط التعجيزية، فما استطعت تحقيق ذلك، فتقدم لها شخص غني، استطاع تحقيق ما أرادوه، ورأيت أنه سيحقق سعادة حبيبتي التي أحببت سعادتها، ففعلت معها كما فعلت مع حبيبتي الأولى، حتى قنعت، وأحضرنا مائدة الوفاء، وصرنا أصدقاء.
هكذا يا ياسمين كانت مفارقة عشيقاتي التي ما عرفن الغضب، أو الزعل، أو الشقاق حتى افترقنا، وتحول ذلك الحب إلى صداقة وإخاء، وأنتِ إلى اليوم وإلى هذه اللحظة، وفي المكان الذي أنا فيه، وفي الليلة التي أسهرها، وفي بداية هذا العام، وأول هذا الشهر، وأنا إما اكتب عنكِ، أو اتذكركِ، أو أحلم بكِ، ولم أهوى سواكِ ولا بديلة عنكِ، ولم أعلم كيف تكون الخاتمة، غير أنها إحدى الحسنيين، إما الوصل، وإما الصداقة.

الخاتمة

وفي الأخير أحببت أن أكون صريحاً معكم في حبي إن من أحببتها هي ليست من عالم الحقيقية في شيء ولكنها من عالم الخيال!
أحببتها لصفات الجمال التي ذُكرت في عنوان التسمية، ولخصالها التي ذكرت في عنوان زينة الجمال، أحببتها وأنا لم أعرفها وذقت مرارة الهجر وهي لم تصلني من قبل!
واشتقت إليها وليس بيني وبينها أي صلة،
لماذا أحببتها؟! لا أدري،
وكيف سميتها ياسمين لا أعلم!

ومن هي التي عشقتها إنني ما زلت أبحث عنها، أريدها بصفاتها المذكورة، وإلى الآن لم أحصل عليها! كان كلامي عبارة عن حلم، وكتاباتي في الخيال، أسهر الليل ولم أدري في من أسهر، وأشتاق ولا أعلم إلى من، وأعشق ولا عرفت من!
هكذا هو حبي إلى الآن، وهذه هي مقالاتي، أظن أن من همت فيها ليست من جميلات الدنيا لأنني لم أرَ تلك الخصال تتكامل في هذه الحياة!

وربما قد تكون هي من الحوريات التي عشقتها وليته يكون كذلك، أن تكون في الدنيا وفي الجنة، وما كتبته هو شعور صادق وإحساس حقيقي، وما سطَّرته هو إبداع، لأنه ليس كل محب كاتب، ولا كل كاتب محب، وإنما لكل مبدعٍ موهبته التي يتميز بها عن غيره.
وهذا الكتاب أسميه:

«وحي الخيال في وصف الجمال».
ـالكاتب/أحمد عبد الله عبد الله ردمان.

للمزيد من المقالات، أو القصائد الشعرية:
للاتصال، أو للواتس:
739166857
أو
716651285
..دمتم بود..

الحمدُ لله ربِّ العالمين وبهِ نستعينُ، على أمورِ الدُنيا والدين، فهو سبحانه مكرم المرسلين، ومقرب الصالحين، ومُحب المحسنين، قابل توبةَ التائبين، وغافرُ ذنوب المذنبين، وراحمُ المستغفرين، مُجيبُ دعوةَ الداعين، ومعطي السائلين، وجامع شمل المحبين، والصلاةُ والسلام على طِب القلوب، وخير محبوب، صلوات الله عليه وعلى آله وصحبه ما أورق عود، وهتن رعود، وأبرت عقود، وأنجزت وعود، ومن سلك سبيلهم ما أشرقت شمس وما بدر طلع.

أما قبل،

إلى صُناع الحروف وكُتاب السطور وأهل الابداع في الأفكار والتعابير بأبكر المعاني... إلى قُرآء الكتب والدفاتر، من أصبحهم المعتيون بما تدونه الأقلام والمحابر، وتصدح به الألسنة والحناجر، تحية مباركة تُبهر الألباب، وتُروي بالعسل والرضاب، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته من مُحِب إلى مُحَب، ومن كاتب إلى قارئ.

أما بعد،

بالحُبِ ينبضُ صوت كل قلبي
فهو فطرةُ من خالقي وربي
ما همني مَن لا مني بحبي
هو نشوتي وبلسمي وطبي.